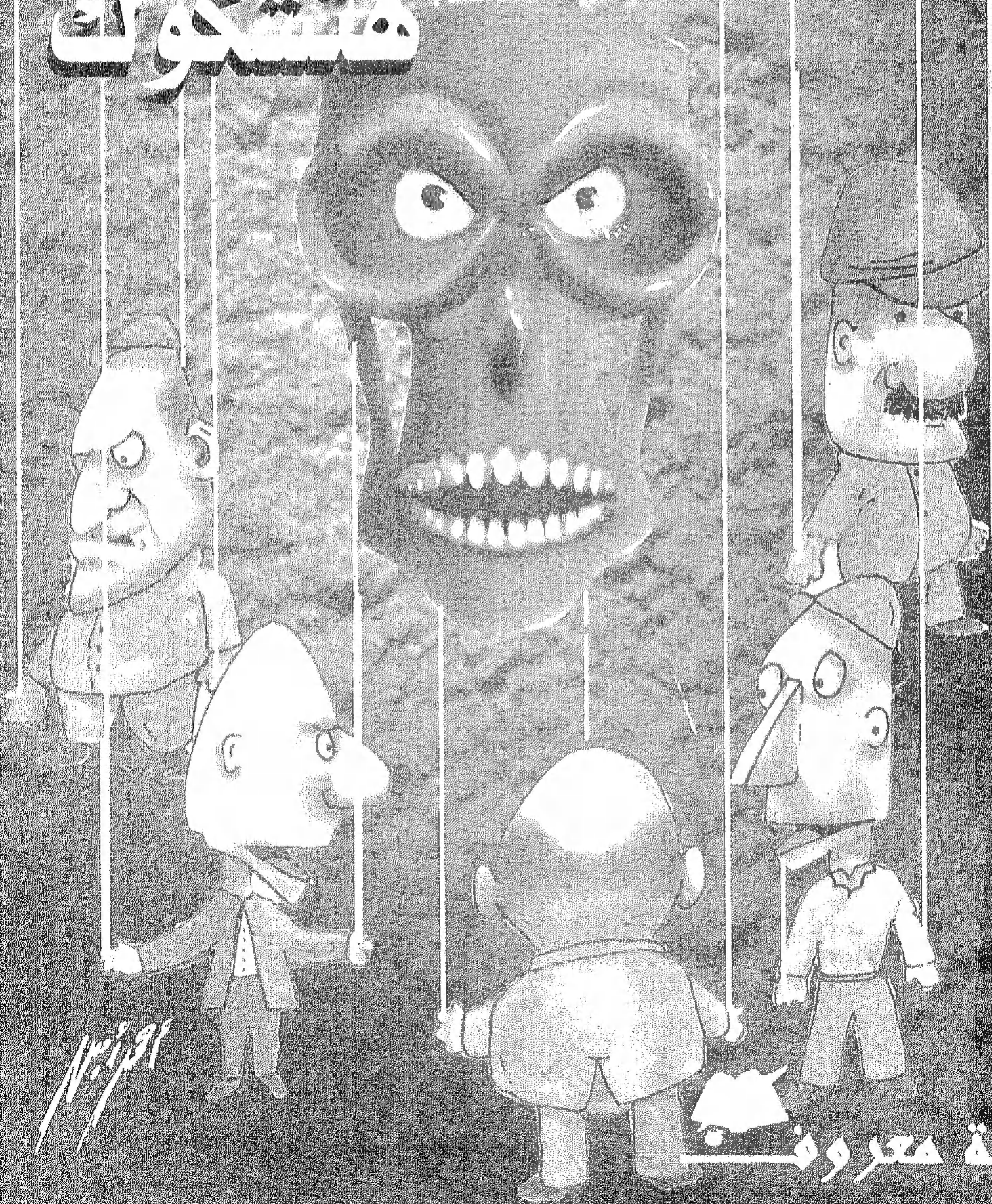
روائع القصص البوليسية

مسرح العرائس

هتشكوك



مكتبة معروف

روائع القصص البوليسية

مسرح العرائس

ترجمة/ محمد عبد المنعم جلال

مكتبة معروف

الإسكندرية: ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١٣٥ فاكس ٤٨٦٠٠١٩

القاهرة: ٧٦١١٢٣٩ ص.ب ١٢٧٠ الإسكندرية

جريمة فى الريف

كان سير هنرى كليثنتج ، الموظف الكبير السابق بإدارة إسكوتلانديارد يقضى كعادته أخيرا منذ إحالته على المعاش بضعة أيام فى ضيافة صديقة الكولونيل بانترى وزوجته ، ويقع بيتهما على مشارف قرية سنت مارى ميد . وقد هبط الدرج على مهل فى الساعة العاشرة من صباح يوم السبت ، وكاد يصطدم على عتبة باب غرفة الطعام بمسز بانترى .. وكانت السيدة الكريمة مندفعة خارج الغرفة ، وهى فى حالة كبيرة من الإضطراب والأنفعال على غير عادتها ومبادئها وعندما دخل سير هنرى كان الكولونيل جالساً أمام المائدة وقد احتقن وجهه أكثر من العادة ، ولكن صوته كان يشوبه الود كالعهد به دائماً ، وهو يحيى صديقه الحميم وخاطبه قائلاً :

– صباح الخير يا كليثنتج .. صباح الخير .. الجو جميل اليوم .. اجلس ياصديقى وتفضل .

جلس سير هنرى بعد أن رد التحية .. وبينما كان يتناول طبقاً من الطعام ويضعه أمامه استطرد مضيفه يقول :

– إن دوللى شديدة الإضطراب اليوم .

سعل سير هنرى وقال فى لباقة نعم إننى أدركت ذلك .

ولكنه كان فى دهشة مع ذلك ، فإن مضيفته كانت معروفة بالهدوء والإتزان ، لا يتملكها الغضب والانفعال بسهولة .. ثم إنه كان يعرف حق المعرفة أنها لا تتحمس أبداً لشىء فيما عدا البستنة .

عاد الكولونيل يقول :

– إنها شديدة الاضطراب حقاً ، فقد سمعنا الآن خبراً هزها جداً .. فإن إحدى فتيات القرية ، وهى ابنة ايموت ، صاحب الحانة " الخنزير الأزرق " إنك تعرفة ؟

– آه ، نعم .

– حسناً .. إن إبنته ، وهى فتاة جميلة طبعاً (وكان الكولونيل بانترى يبدو منزعجاً هو الآخر) .. نعم ، كنت أقول إن هذه الفتاة زجت بنفسها فى موقف حرج .. نعم ، حقاً .. إنها القصة الخالدة .. تناقشت فيها مع دوللى وليتنى ما فعلت ، فإن النساء يفقدن عقولهن فى هذا المجال .

فقد تحزبت دوللى لتلك الفتاة وقالت إن الرجال ذئاب .. الخ .. الخ .. ولكن الأمر ليس بهذه البساطة خصوصاً فى أيامنا هذه ، فإن الفتيات يعرفن تماماً ما يفعلن وما يخاطرن به . والرجال الذين يلعبون بعقولهن ليسوا أوغاداً وبلا ضمير بالضرورة .. ومن رأيى أن الشاب والفتاة متساويان فى المسئولية فى هذه الناحية .. وأنا أعرف الشاب ساندفورد .. إنه شاب أحمق ليس من هذا النوع الذى يجرى خلف النساء .. إذا فهمت ما أعنيه .

– هل هو الذى زج بهذه الفتاة فى هذه الورطة ؟

– يبدو ذلك .

وأسرع الكولونيل يقول فى حذر :

– أنا نفسى لا أعرف شيئاً طبعاً ، ولكن هذا ما يقال فى القرية ، وأنت تعرف أن القيل والقال والشائعات التى تدور فى القرية تطير فوق أجنحة الريح .. وأنا لا أعرف شيئاً أكيداً كما قلت لك .. ولا أقفز إلى النتائج على الفور ، ولا ألقى التهم جزافاً كما تفعل دوللى .. والحق أن الرجال يجب أن يتوخوا الحذر ، وألا يتكلموا فى هذه المواضيع خبط عشواء .. وأنت تعرف ما سوف يجرى أكثر من أى شخص آخر .. أعنى التحقيق وكل الإجراءات التى تتعلق به .

– التحقيق !!

نظر الكولونيل إلى صديقه مليا وقال :

– ألم أقل لك ؟.. إن الفتاة انتحرت بأن ألقت بنفسها فى النهر .. وهذا هو السبب فى كل هذه الضجة .

هز سير هنرى رأسه وقال :

– إنها قصة قذرة .

– قصة قذرة طبعاً ، وأفضل ألا أفكر فيها .. يا للفتاة المسكينة الساذجة !.

إن أباها قاسٍ جداً ، وأظن أنها لم تجد من نفسها الشجاعة لمواجهة غضبه .

وسكت لحظة قبل أن يختتم قائلاً :

– وهذا هو ما أثار انفعال دوللى .

– أين غرقت ؟

– فى النهر، بعد الطاحونة مباشرة ، حيث التيار شديد دائماً ، هناك ممر يؤدى إلى الماء وإلى الجسر والمفروض أنها ألقت بنفسها من فوقه ، والواقع أنتى أوثر ألا أفكر فى هذا الأمر .

ولكى يبعد الكولونيل هذه الحادثة البغيضة عن ذهنه نشر صحيفته ، وشرع يقرأ الأخبار المحلية .

ولكن المأساة القروية لم تحدث تأثيرا كبيراً فى سير هنرى ، وعندما فرغ من تناول طعامه مضى إلى الشرفة ، واضطجع فى مقعد مريح ، وأرخى قبعته فوق عينيه ، وغرق فى أوهامه الهادئة .

وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة والنصف عندما اقتربت منه الخادمة وقالت فى هدوء :

– معذرة ياسيدى ، لقد جاءت مس ماربل ، وهى تريد أن تتحدث إليك .

– مس ماربل ؟.

– اعتدل سير هنرى فى جلسته ، وأزاح القبعة عن عينيه شيئاً ما ، فقد فاجأه الاسم ، وكان يذكر مس ماربل جيداً ، ويذكر طباعها الظريفة كعانس هادئة ، ذات ذكاء خارق ، ونظر ثاقب ، وتذكر نحو اثنتى عشرة قضية استغلقت على الخبراء المختصين استطاعت هذه العانس العجوز أن تفك طلاسمها ، وتصل إلى مفاتحها الحقيقية .

وكان سير هنرى يحس من نحوها باحترام كبير ، ومضى إلى البيت فى

خطوات واسعة وهو يتساءل عن السبب الذى دفعها إلى المجئ لزيارته .

كانت مس ماربل جالسة فى الصالون ، معتدلة القامة كعادتها دائماً ، وبجوارها سلة جميلة زاهية الألوان ، لاريب أنها اشترتها من الخارج لكى تضع فيها حاجيات البيت ، وكانت تبدو على شئ من الاضطراب ، وقد توردت وجنتاها لفرط انفعالها ، وما أن دخل سير هنرى كليثتنج حتى بادرته قائلة :

– يسرنى جداً أن أراك ياسير هنرى .. سمعت الآن فقط أنك مقيم هنا عند صديقيك .. وأرجو أن تلتمس لى العذر .

قاطعها سير هنرى وهو ينحنى فى احترام فوق اليد التى بسطتها له :

– ولم الاعتذار ؟.. إننى على العكس مسرور برؤيتك .. ولكننى أخشى أن تكون مسز بانترى قد خرجت .

– أعرف أنها خرجت .. وقد رأيتها تتحدث مع فوتيت الجزار وأنا فى طريقى إلى هنا ، وكان هنرى فوتيت شديد الانزعاج بسبب كلبه .. وهو كلب مشاكس ولا أدرى لماذا يحب الجزارون هذا النوع من الكلاب .

قال سير هنرى فى رفق :

– إننى لاحظت ذلك حقاً .

واستطردت مس ماربل تقول :

– يسرنى أننى أتيت وهى بالخارج ،لأننى أردت أن أراك أنت .. بسبب هذه القصة المحزنة .

سألها سير هنرى فى شئ من الحيرة :

– بسبب هنرى فوتيت ؟.

ألقت مس ماربل إليه نظرة حافلة باللوم والعتاب وقالت :

– كلا .. كلا .. إنما كنت أشير إلى روز أيموت طبعاً .. هل علمت بما جرى لها ؟.

أحنى سير هنرى رأسه وقال :

– لقد أخبرنى بانترى بما جرى .. إنها قصة محزنة جداً فى الواقع .

كان يشعر بالحيرة شيئاً ما ، فهو لم يفهم لماذا أقبلت مس ماربل لزيارته بخصوص روز أيموت .

واضطجعت مس ماربل فى مقعدها ، وكان سير هنرى قد بقى واقفا حتي هذه اللحظة ، فجلس على كثب منها ، وعندما استأنفت العانس الحديث قالت فى صوت جدى :

– لعلك تذكر ياسير هنرى أننا قمنا هنا أكثر من مرة بتلك اللعبة التى كانت تطربنا كثيراً ، وهى أن أحدنا كان يعرض قضية غامضة ، ثم نحاول الاهتداء إلى مفتاحها ، وقد كنت أنت كريماً معي ، وشهدت بأنه لا بأس بى فى هذا المجال .

صاح سير هنرى فى حماس :

– بل إنك تفوقت علينا ، وأبديت ذكاءاً كبيراً ، بحيث اهتديت إلى الكشف عن أسرارها دوننا جميعاً ، وأتذكر أنك كنت تذكرين فى كل مناسبة قصة مشابهة ، تقولين إن أحداثها وقعت فى القرية ، وإنها هى التي هدتك إلى الحقيقة .

وكان يبتسم وهو يتكلم ، ولكن مس ماريل ظلت جامدة الأسارير وهي تقول :

- إن قولك هذا هوالذى شجعنى على المجئ لمقابلتك اليوم ، وإننى أعلم أننى إذا قلت لك شيئاً .. حسناً .. أنت على الأقل لن تهزأ بى .

قال في رفق :

- لن يحدث هذا أبداً طبعاً .

- سير هنرى .. إن هذه الفتاة .. روز أيموت .. لم تلق بنفسها فى النهر وإنما قتلت .. وأعرف من الذى قتلها .

لزم سير هنرى الصمت وقد استبد به الذهول ثلاث ثوان ، وكانت مس ماريل قد تكلمت بكل هدوء ، كما لو كانت قد نطقت بشئ طبيعى تماماً .

وصاح يقول عندما أفاق من ذهوله :

- ولكنك تقولين شيئاً خطيراً .

أحنت رأسها مرارا احناءة خفيفة وقالت :

- إننى أعرف .. أعرف ذلك .. ولهذا أتيت لمقابلتك .

- هذه مكرمة منك ، ولكن ليس أنا الذى يجب أن تقابليه يا أنستى العزيزة ، فقد أصبحت اليوم مواطناً عادياً ، يجب أن تذهبى إلي البوليس وأن تطلعيهم على ما تعرفين .

أجابت مس ماريل :

- لاأظن أننى أستطيع أن أفعل ذلك .

- لماذا ؟.

– لأنه ليس لدى .. ماذا أقول ؟.. نعم ليس لدى أى يقين.

– تعنين أن لديك إحساساً بأنك تعرفين القاتل ؟.

– يمكنك أن تقول ذلك إذا شئت ، ولكن الأمر ليس كذلك فى الواقع .. إننى أعرف ذلك فحسب ، ولكننى لو ذكرت للمفتش درويت الأسباب التى حملتنى على معرفته فإنه سوف يضحك فى وجهى على الفور ساخراً وإذا أردت الحق فإننى لن أستطيع لومه ، فإن من المستحيل أن يدرك ما يمكن تسميته بالمعرفة المتخصصة سألها سير هنرى وقد أطر به الأمر على الرغم منه :

– مثال ذلك :

– لو قلت لك إننى أعرف ذلك بسبب رجل يدعى بيزجود باع لابنة أختى لفتاً على أنه جزر منذ بضع سنوات .

وسكتت ، وخيم صمت بليغ ، فقال سير هنرى في تفكير وهو ينظر إلى مس ماربل فى اهتمام :

– أتعنين أنك تحكمين على الناس استناداً على مثل هذا الموقف ؟.

اعترفت مس ماربل قائلة :

– ذلك أننى أعرف الطبيعة البشرية ، ولا يمكن أن تفعل غير ذلك إذا أنت أقمت فى القرية مدة طويلة ، والمهم هو أن أعرف هل تصدقنى أم لا .

وحدقت فيه مباشرة فى هدوء ومن غير أن تطرف ، ولكن وجنتيها توردتا أكثر من العادة وكان هذا كل شئ .

وكان سير هنرى رجلاً خبر الحياة طويلاً ، وكان سريعا دائماً فى اتخاذ

قراراته دون أى تردد ، ومع أن رد مس ماريل كان غريباً وغير معقول فقد عرف أنه يتقبله كما هو فقال فى صوت قوي :

– إننى أصدقك ، ولكننى لا أدرى ما دخلى فى كل هذا ، ولماذا تلجئين إلى ؟.

– أننى فكرت فى الأمر مليا ياسير هنرى ، ومن رأيى أنه لن يكون هناك أى داع لكي أذهب إلى البوليس بدون حقائق معينة ، وليس لدي منها أى شئ ، ولكننى قصدتك لكى تهتم بالقضية أنت نفسك ، وأنا واثقة أن المفتش درويت سيسره ذلك طبعاً ، وإذا تقدم التحقيق وثبت لهم أن روز أيموت لم تنتحر ، وإنما قتلت ، فإن الكولونيل ملشيت ، مدير البوليس سيكون عجينة لينة بين يديك .

ونظرت مس ماريل إليه فى شبه توسل فقال سير هنري :

– وما هى العناصر التى أتيتينى بها لكى تسمح لى بالعمل علي الأساس الذى تقولين ؟.

– كنت أنوى أن أكتب لك اسماً .. اسم القاتل على ورقة وأن أعطيك ايَاها ، وإذا رأيت أثناء التحقيق أن صاحب هذا الاسم لا دخل له فيما حدث فسيكون فى ذلك الدليل على أننى أخطأت .

وسكتت لحظة ، ثم أردفت وهى ترتجف :

– إنه لأمر فظيع ...فظيع جداً .. لو أن بريئاً شنق .

أجفل سير هنرى وقال :

– ولماذا بحق السماء ؟.

رفعت مس ماربل إليه وجها قلقاً وقالت :

– ربما أكون مخطئة .. وإن كنت لا أظن ذلك ، إن المفتش درويت رجل ذكى حقاً ، ولكن أصحاب الذكاء المحدود شديدو الخطر أحياناً ، فهم لا يواجهون الأمور كما يجب .

نظر سير هنرى إليها فى فضول .

وفتحت مس ماربل حقيبتها اليدوية بيد مضطربة ،وأخرجت منها دفترا صغيرا ، انتزعت منه ورقة سطرت عليها اسما فى عناية تامة ثم طوت الورقة مرتين وناولتها لسير هنرى .

وسارع هذا الأخير ففتحها وقرأ الاسم ، ولكنه لم يستدل منه على شئ ، غير أنه رفع حاجبيه شيئاً ما مندهشاً ، ثم ألقى نظرة إلى مس ماربل وطوى الورقة ووضعها فى جيب صديره وتمتم :

– حسن جداً .. حسن جداً .. ولكن يبدو لى انها قصة غريبة لم أسمع بمثلها من قبل :

– اجتمع سير هنرى والكولونيل ملشيت والمفتش درويت فى قسم البوليس بقرية سنت مارى ميد .

كان الكولونيل ملشيت مدير البوليس ، رجلا قصير القامة عسكرى الهيئة إلى حد بعيد ، فى حين كان المفتش درويت طويل القامة بدين الجسم حسن الإدراك .

وقال سير هنرى كليثنج وعلى وجهه ابتسامته المتألقة لا أدرى حقا لماذا أزج بأصبعى فى هذه القضية ولا أدرى أبداً لماذا أهتم بها ؟.

قال الكولونيل

- يسرنا أن تعمل معنا يا صديقى العزيز .. إن هذا شرف كبير لنا .

وقال دوريت بدوره :

- هذا شرف لنا حقاً يا سير هنرى .

ولكن مدير البوليس كان يحدث نفسه قائلاً إن الرجل المسكين يكاد يموت سأماً فى بيت آلى بانترى ، بين الكولونيل العجوز الذى يقضى كل وقته فى التـذمر ضد الحكومة وبين زوجته الثرثارة التى لا تكف عن الحديث .

أما المفتش دوريت فقد ندم على أنه لا يواجه مشكلة عويصة ، وعلى أن الحظ إذا كان قد ساعده وأرسل إليه واحدا من أكبر عقول إنجلترا كما سمع فإنه لا يستطيع أن يقدم له إلا هذه القضية البسيطة .

وقال مدير البوليس بصوت مسموع معبراً عن ندم المفتش :

- ولكننى أخشى أن تكون قضية عادية ليس فيها جديد ، فقد حسبنا أول كل شئ أن تلك الفتاة انتحرت ، فقد كانت تنتظر مولوداً ولكن طبيبنا الدكتور هايدوك رجل دقيق جداً ، وقد لاحظ على كتفيها كدمات تدل على أنها حدثت قبل الموت مباشرة ، كما لو أن أحداً أمسكها من كتفيها فى قوة لكى يلقى بها فى النهر .

- هل كان ذلك يستدعى قوة كبيرة ؟.

- لا أظن ذلك ، لم تكن هناك أية مقاومة ولم تكن الفتاة تتوقع ذلك بكل تأكيد كانت تجتاز جسرا من الخشب لا حواجز له ، وليس أسهل من دفع

أى شخص إلى النهر من فوقه بغتة .

– هل أنت واثق إن المأساة وقعت هناك ؟.

– نعم وقد وجدنا غلاماً فى الثانية عشرة من عمره يدعي جيمى براون واقفاً فى الغابة ، فى الناحية الأخرى من الشاطئ ، وقد خيل له أنه سمع صرخة حادة ، أعقبها صوت سقوط جسم فى الماء ، وكان الظلام قد هبط بحيث أصبح من العسير تمييز أى شئ ومع ذلك فإن الغلام استطاع أن يرى شيئاً يطفو على سطح الماء ، فأسرع لكى يطلب النجدة ، وتمكنوا من انتشال الفتاة ولكن بعد أن أصبحت جثة هامدة .

هز سير هنرى رأسه وقال :

– ألم ير الغلام أى شخص آخر فوق الجسر ؟.

– كان الظلام قد خيم كما قلت لك ، ثم إن الجو كان مشبعاً بالضباب فوق النهر وتحت الأشجار فى تلك الناحية ، وقد استجوبته لكى أعلم ان كان قد رأى أحداً فوق الجسر قبل الحادث أو بعده ، ولكنه أكد لى عن هذه النقطة أنه لم ير أحداً ، ومهما يكن فقد اقتنع لأول وهلة كما اقتنع الجميع بأنها انتحرت بأن ألقت بنفسها فى الماء .

وقال درويت وهو يتحول نحو سير هنرى :

– وقد حسبنا أنها انتحرت حتى اللحظة التى عثرنا فيها على الورقة .

وقال الكولونيل ملشيت :

– نعم .. وقد عثرنا عليها فى جيب الفتاة ، وكانت مكتوبة بقلم رصاص من النوع السميك الذى يستعمله الفنانون ، وكانت مبتلة جداً ولكننا تمكنا

من قراءتها على الرغم من ذلك .

– وماذا كان نصها ؟.

أوه ، كانت رسالة قصيرة جداً جاء بها :

لابأس سألتقي بك فوق الجسر في الثامنة والنصف مساء .

وكان موقعاً عليها بحرفي ر. س ، وهما الحرفان الأولان من اسم ساندفورد الشاب ، وقد سمع الغلام الصرخة وصوت سقوط الجسم في الماء بعد الثامنة والنصف بقليل .

تدخل الكولونيل ملشيت فقال :

– هل سبق لك أن رأيت هذا المدعو ساندفورد ، إنه عاد هنا منذ نحو شهر ، وهو واحد من المهندسين الشبان الذين تخرجوا في المدرسة الحديثة وهو يشيد بيتاً لآل النجتون ، والله وحده يعلم كيف سيكون شكله ولا كيف سيكون مفروشاً .. منضدة كبيرة في غرفة الطعام عليها بللورة وحولها مقاعد من الصلب مكسوة قواعدها بالجلد .. حسنا ذلك لا يعنيني على كل حال ، ولكنه يرينا النوع الذي ينتمي إليه هذا المدعو ساندفورد إنه شاب ثوري لا خلق له ولا أخلاق .

قال سير هنري في لهجة حالمة :

– إن الغواية جريمة قديمة وإن كانت لاتصل في مستواها إلى جريمة القتل .

نظر الكولونيل ملشيت ملياً إلى صديقه وقال :

– تماماً .. تماماً .

وتكلم المفتش عندئذ فقال :

- من رأيى يا سير هنرى أنها قصة بغيضة جداً ولكنها على الرغم من ذلك بسيطة جداً ، لقد زج الشاب ساندفورد بالفتاة فى موقف عسير بحيث حملت منه ، وهو مخطوب لفتاة أخرى فى لندن لو أنها علمت بما جرى لانهارت مشاريعه تماماً .. ولهذا تواعد مع روز لكى يلتقى بها فوق الجسر ، ثم فاجأها من الخلف ، وألقى بها إلى النهر إنه وغد كبير يستحق ما سوف يقع له .. هذا هو رأيى فى هذه القضية .

لزم سير هنرى الصمت دقيقة أو دقيقتين ، أحس منذ البداية أن هناك تحذيراً ضد الشاب وضد آرائه التقدمية ، ولا عجب فإن أى شاب مجدد لا يمكن أن يجد شعبية ما فى قرية محافظة كقرية سنت مارى ميد ، وقال أخيراً :

- أظن أنه ليس هناك أى شك فى أن ساندفورد هو أبو الطفل الذى كان يجب أن يولد .

أجاب درويت :

- لاشك على الإطلاق لم تكن روز تخفى ذلك على كل حال ، وأبوها نفسه كان يجهر بذلك ، فقد كانت تعتقد أنه سيتزوجها .. هاها ـ يتزوجها .. هو ؟.

راح سير هنرى يفكر وهو يستمع إلى المفتش الشهم ويقول لنفسه :

- يا الهى ! .. يخيل لى أننى وقعت فى قلب مأساة ڤيكتورية .. الفتاة الجاهلة والشاب الشرير القادم من لندن والأب المهان فى شرفه ، ولا يبقى

لكى تكمل القصة إلا العاشق القروى الوفى المخلص إلى أبعد حدود الوفاء والإخلاص ، حسناً يبدو أنه قد حان الوقت لكى أختم به .

وتكلم فى صوت مسموع فقال :

- ألم يكن لهذه الفتاة شاب من أهل القرية يوليها اهتماماً خاصاً ؟.

أجاب المفتش :

- هل تعنى جو ايليس ؟.. إنه شاب طيب .. مهنته نجار .. آه . لو أنها تعلقت بجو هذا .

ووافقه الكولونيل ملشيت على ذلك بأن قال فى لهجة خشنة :

- لا يجب أن ينظر أحد إلى طبقة أعلى من طبقته .

وسألهما سير هنرى :

- وكيف قابل جو أيليس هذا الموقف من حبيبته ؟.

أجاب المفتش :

- ما من يدرى فإن جو شاب هادئ كتوم وكل ما كانت تفعله روز كان جميلاً فى عينيه ، كان مفتوناً بها إلى درجة كبيرة ، واقتصر دوره على الأمل والرجاء فى أن تعود إليه ذات يوم .

قال سير هنرى :

- أحب أن أراه .

قال الكولونيل ملشيت وهو ينهض :

- ما أسهل هذا ، سنذهب لاستجوابه ، فلا يجب أن نهمل شيئاً وكنت

أظن أنا نفسى أننا نستطيع أن نستجوب ايموت أولاً ، ثم ساندفورد وأخيراً أيلليس ، فهل يناسبك هذا يا كليثتنج ؟.

أجاب سير هنرى بأنه يوافقه على هذا تماما .

ووجدوا توم ايموت فى حانة الخنزيرالأزرق كان طويل القامة ، مكتنز الجسم فى الخمسين من عمره ، بهيمى الوجه متهرب العينين قال :

– يسرنى أن أراكم أيها السادة صباح الخير ياكولونيل ، تفضلوا هنا لن يزعجنا أحد هنا ، هل أستطيع أن أقدم لكم شيئاً أيها السادة ؟.

كلا .. كما تشاءون هل أتيتم بسبب ابنتى المسكينة روز ؟.. كانت فتاة طيبة دائماً حتى جاء هذا الخنزير ، معذرة ولكن ذلك الشاب لا يمكن أن يكون إلا خنزيرا حسناً .. كنت أقول إنها كانت فتاة طيبة حتى جاء هذا الشاب .. وكان قد وعدها بالزواج ، ولكننى سأقاضيه ألقى بابنتى المسكينة فى النهر هكذا هذا الخنزير القاتل إنه وصم أسرتنا بالعار .. يالأبنتى المسكينة .

سأله ملشيت فى لهجة حادة :

– هل قالت لك ابنتك صراحة إن مستر ساندفورد هو المسئول عن حالتها ؟..

– نعم .. وفى هذه الغرفة بالذات .

سأله سير هنرى فى رفق :

– وماذا قلت لها ؟..

– لابنتى ؟.

– نعم ألم تهددها بأن تطردها من البيت مثلاً ؟.

– لقد هزنى النبأ فى بادئ الأمر ، وهذا أمر عادى ، أليس كذلك ؟ وأنا واثق أنك متفق معى فى هذه النقطة ، ولكننى لم أهددها بالطرد من البيت كلا بكل تأكيد وما كنت لأفعل شيئاً كهذا أبداً (وتظاهر بالسخط الشديد) كلا لم ازد على أنى قلت لها إنه يجب أن يصلح مافعل ، وإلا فسيكون له شأن معى ومع القضاء ، يا إلهى .. إننى قلت إنه لابد أن يدفع إذا لم يكن ينوى أن يصلح ما فعل .

وهوى بيده الضخمة فوق المنضدة وسأله مدير البوليس :

– متى رأيت ابنتك لآخر مرة ؟.

– أمس فى ساعة الشاى .

– كيف بدت لك عندئذ ؟.

– حسناً كعادتها ، لم ألحظ شيئاً .. لو كنت أعلم ..

قال المفتش فى حدة :

– ولكنك لم تكن تعلم .

ومن غير كلمة أخرى نهض الرجال الثلاثة مرة واحدة وقال سير هنرى فى تفكير وهم يسيرون فى الشارع فى صمت :

– إننى لا أشعر بأى ارتياح لهذا المدعو أيموت .

– إنه وغد ، وما كان ليتردد عن تهديد ساندفورد وابتزاز ماله لو أنه وجد الفرصة لذلك .

وكانت زيارتهما الثانية للمهندس الشاب ، ولم يكن ركس ساندفورد ،

يشبه أبداً الصورة التي رسمها سير هنرى عنه ، فقد كان شابا وسيماً طويل القامة نحيل الجسم ، عينان زرقاوان حالمتان ، وشعر مشعت طويل أكثر من اللازم ، وله صوت أقرب إلى صوت النساء .

قام الكولونيل بواجب التعارف ، وبعد أن ذكر للشاب سبب زيارتهم ، طلب منه أن يدلى إليهم ببيان عن حركاته وتصرفاته فى الليلة السابقة وقال :

– وأرجو أن تفهم أنه لاحق لى حتى الآن فى أن أرغمك على الكلام وأن كل ما ستقوله لى قد يتخذ ضدك .. أريد أن تفهم هذا جيداً .

تمتم المهندس الشاب :

– إننى .. إننى لا أفهم .

ولكنك فهمت على كل حال أن روز أيموت غرقت فى الليلة الماضية .

– أوه .. هذا فظيع .. فظيع جداً .. لم أغمض عينا طوال الليل ، ولم أفعل شيئاً اليوم ، أشعر بأننى مسئول .. مسئول تماماً .

وتخلل شعره بأصابعه ، وإستطرد يقول وهو فى حالة يرثى لها :

– لم تكن لى أية نوايا سيئة ، ما كنت لأظن أبداً .. ما كنت لأتصور أنها ستأخذ الأمور هكذا ، وجلس أمام منضدة ودفن رأسه بين يديه .

– هل يجب أن أفهم أنك ترفض أن تقول لنا أين كنت فى الساعة الثامنة والنصف من مساء أمس .

– كلا .. كلا .. كلا بالتأكيد .. كنت فى الخارج .

فقد خرجت لكى أقوم بجولة .

– هل كنت متواعد مع روز أيموت ؟.

– كلا .. خرجت بمفردى فى جولة كبيرة فى الغابة .

– إذن كيف تفسر هذه الورقة التى عثرنا عليها فى جيب الميتة ؟.

وقرأ المفتش درويت نص الرسالة فى صوت جاف ثم قال :

– هل تنكر أنك كتبت هذه الرسالة يا مستر ساندفورد ؟.

– كلا .. كلا .. إنك على حق .. أنا الذى كتبتها ، فقد طلبت روز أن ألتقى بها ، ولم أدر ماذا أفعل فكتبت لها هذه الرسالة .

قال المفتش فى شئ من الرضا :–

– آه هذا أفضل ..

احتج المهندس فقال فى صوت حاد :

– ولكننى لم أذهب إليها .. لم أذهب أحسست بأنه لا يجب أن أراها كان فى نيتى أن أكتب لها من لندن ، وأن أتخذ بعض الإجراءات .

– هل كنت تعرف أنها كانت تنتظر مولوداً تتهمك بأنك أبوه .

أطلق ساندفورد تنهيده حادة ، ولكنه لم يجب ، فسأله درويت فى إصرار :

– هل هذا صحيح ؟.

أجاب الشاب فى صوت أجش :

– أعتقد ذلك .

– آه .

ولم يخف المفتش ارتياحه وقال :

– لنعد الآن إلى جولتك .. هل رأك أحد ؟.

– لا أعلم لا أظن ذلك ، لم ألتق بأحد على قدر ما أذكر .

– هذا أمر مؤسف لك .

– ماذا تعنى ؟.

ونظر ساندفورد إلى المفتش بعينين دهشتين واستطرد :

– ما دخل جولتى فى هذا الموضوع ؟.. وهل تغير حقيقة أن روز انتحرت غرقا ؟.

صاح المفتش فى انتصار :

– إنها تغير كل شئ ، إن روز لم تنتحر يا مستر ساندفورد وإنما أغرقت عمداً .

– أغر ..

ومرت دقيقة أو دقيقتان قبل أن يتحقق المهندس من بشاعة الأمر وصاح

– يا إلهى .. ولكن .. وتكوم على مقعده مصعوقاً .

وأتى الكولونيل ملشيت بحركة لكى ينهض وقال فى غلظة :

– هل تفهم الان يا ساندفورد ، لا يجب أن تغادر هذا البيت فى الوقت الحاضر .

وعقب هذا التهديد المستتر خرج الرجال الثلاثة ، وتشاور المفتش والمدير بالنظر وقال المفتش :

– هذا يكفي ، أليس كذلك يا سيدي ؟.

– نعم .. لم يعد أمامنا إلا إستصدار أمر من النيابة بالقبض عليه أطلق سير هنري صيحة مكتومة وقال :

– معذرة .. إنني نسيت قفازي .

وعاد أدراجه سريعاً فإذا بساندفورد مكانه لم يتحرك وقد راح ينظر أمامه في غباء .

وقال سير هنري :

– إنني عدت لكي أقول لك شخصياً إنني سأبذل كل جهدي لمساعدتك ، ليس لي الحق في أن أكشف لك عن السبب الذي يحدوني إلى الاهتمام بأمرك ، ولكنني أريد أن تذكر لي في إيجاز بقدر المستطاع ما دار بينك وبين الصغيرة روز بالتمام .

– كانت جميلة جداً ، جميلة جداً وفاتنة جداً و .. وهي التي سعت خلفي وأقسم لك إن هذا هو ما حدث ، لم تتركني هادئاً لحظة واحدة ، وقد أحسست بالوحدة في هذه القرية التي كرهني فيها الجميع ، ولما كانت فائقة الجمال ولما بدا لي أنها تفهم كل ما يتعلق بهذا .. وأنت تفهم طبعاً ما أعنيه (وتحشرج صوته ، ورفع عينين متوسلتين إلى سير هنري الذي ظل جامد الأسارير ، وإذ رأى منه ذلك سعل في ارتباك واستطرد) ثم وقع ما وقع ، وأردت أن أتزوجها ، ولم أدر ماذا أفعل ولي خطيبة في لندن إذا علمت بهذه القصة فسينتهي مابيننا ، ولن تفهم شيئاً ، وعندئذ تصرفت تصرفاً غير سليم ففررت من امام روز كالجبان .. كما قلت منذ لحظات ، خطر لي أن أعود إلى لندن ، وأن أرى محاميا ، وأعرض عليها مبلغاً أي مبلغ لم اكن

أدرى .. يا إلهى ، ما كان أغبانى .. والآن كل شئ واضح تماماً .. ضدى . ولكن لاريب إنهم مخطئون .. فلماذا لا تكون انتحرت ؟..

– هل حدث أن هددتك بأن تقتل نفسها ؟.

هز ساندفورد رأسه وقال :

– أبداً .. من رأيى أن ذلك لم يكن من طبعها .

– هل تعرف شيئاً عن شخص يدعى جو إيلليس ؟.

– النجار ..؟ إنه شاب شريف من أهالى القرية ، محدود الذكاء شيئاً ما ولكنه مفتون جداً بروز .

سأله سير هنرى :

– ألم يكن يشعر بالغيرة ؟.

– أظن أنه كان يشعر بها قليلاً ولكنه كان من طينة أخرى ، ولا ريب أنه كان يتألم فى صمت .

– حسناً أشكرك .. يجب أن أغادرك الآن .

ولحق سير هنرى بزميليه وقال :

– أشعر أنى يجب أن أرى ذلك الشاب الآخر إيلليس قبل الشروع فى أى شئ بصفة نهائية ، فإنه ليكون خطأ فظيعاً إذا ألقينا القبض على شخص لا تلبث براءته أن تظهر ، ومهما يكن فإن الغيرة دافع قوى للقتل ودافع كثير الشيوع كذلك .

قال المفتش :

– هذا صحيح ولكن المدعو جو إيلليس ليس من هذا النوع ، إنه لا يؤذى ذبابة ، وأظن أن ما من أحد قد رآه أبداً غاضباً ولكنني أرى مثلك أن من الأوفق أن نمضى إليه ونسأله أين كان فى الليلة الماضية لاريب أنه موجود الآن فى مسكنه إنه يقيم عند مسز بارتليت وهى أرملة باسلة تقوم بغسل الثياب لأهالى القرية من وقت لآخر .

وكان البيت الصغير الذى مضوا إليه بيتاً نظيفاً إلى حد يدعو إلى العجب وفتحت لهم الباب امرأة طويلة القامة ، بدينة الجسم ، ذات وجه جذاب ، وعينين زرقاوين صافيتين .

وخاطبها المفتش درويت قائلاً :

– صباح الخير يا مسز بارتليت .. هل جو إيلليس موجود ؟..

أجابت المرأة :

– إنه عاد منذ نحو عشر دقائق ولكن تفضلوا بالدخول أيها السادة .

وتقدمتهم وهى تمسح يديها فى مئزرتها إلى غرفة صالون صغيرة مزدحمة بطيور مختلفة محنطة وتحف صينية شتى وأشياء أخرى كثيرة وأسرعت تقدم لهم المقاعد ، وبعد أن نقلت منضدة صغيرة من مكانها أسرعت خارجة ونادت وهى على عتبة الباب :

– جو .. أقبل ثلاثة رجال لزيارتك .

وأجابها صوت من آخر البيت يقول :

– لحظة واحدة ريثما أغسل يدى .

ابتسمت مسز بارتليت فى ارتياح ، وقال الكولونيل ملشيت :

– تعالى يا مسز بارتليت واجلسى .

قالت المرأة وقد راعها أن تجلس فى غرفتها بالذات مع زائريها :

– أوه ، كلا يا سيدى .. لن أجرؤ أبداً .

ولم يلح الكولونيل عليها ، واكتفى بأن قال فى غير اكتراث :

– هل أنت راضية بسكنى جو إيلليس ؟.

– ليس هناك من هو أفضل منه يا سيدى .. إنه شاب هادئ جداً حقاً ، لا يفرط فى الشراب أبداً ، ويحب عمله كل الحب ، ويحاول أن يكون خدوماً فى البيت ، إنه هو الذى ركب هذه الرفوف ، وقد ركب غيرها فى المطبخ أيضاً ، وآلاف الأشياء الصغيرة التى ينجزها فى البيت يقوم بها عن طيب خاطر ، ويكاد لا يقبل حتى كلمة الشكر ، آه يا سيدى أن الذين على غراره قليل فى أيامنا هذه .

قال ملشيت فى مرح :

– ما أسعد الفتاة التى ستتزوجه .. ألم يكن مغرماً بتلك الفتاة المسكينة روز أيموت ؟.

تنهدت مسز بارتليت وقالت :

– لقد كدرنى هذا الأمر .. إنه كان يعبد التراب الذى تطؤه بقدميها ، فى حين أنها لم تكن تحفل به ؟.

– وأين يمضى جو امسياته يا مسز بارتليت ؟.

– هنا فى العادة يا سيدى ، أحياناً يقوم ببعض الإصلاحات للغير لزيادة دخله ، وأحياناً يدرس إمساك الدفاتر عن طريق المراسلة .

– آه حقا :

– هل كان موجودا هنا مساء أمس ؟.

– نعم يا سيدى .

تدخل سير هنرى فسألها فى حدة :

– هل أنت واثقة ؟.

تحولت المرأة نحوه وقالت :

– كل الثقة ياسيدى .

– ألم يخرج فى نحو الثامنة والنصف مثلاً ؟.

ضحكت مسز بارتليت ضحكة مرحة وأجابت :

– أبداً ، إنه فرغ من تركيب الرفوف بالمطبخ وساعدته فى تركيبها وقد أخذ منا هذا العمل طوال الأمسية تقريباً .

نظر سير هنرى إلى وجهها الهادئ المبتسم ، ولأول مرة خامره الشك وبعد لحظة دخل جو ايلليس الغرفة .

كان طويل القامة ، عريض الكتفين ذا عينين زرقاوين خجولتين ، ترتسم على شفتيه ابتسامة حلوة ، كان مثال العملاق الظريف الحليم الطيب القلب توارت مسز باتليت فى هدوء ، وألقى ملشيت سؤاله الأول فقال :

– إننا نحقق فى موت روز أيموت ، هل تعرفها يا ايلليس ؟.

– نعم .

وتردد لحظة ثم تمتم يقول :

– كنت أرجو أن أتزوجها ذات يوم .. مسكينة روز !.

– هل كنت تعلم بما جرى لها ؟.

– نعم .

وارتسمت في عينيه نظرة غضب واستطرد :

– وقد تخلى عنها ، وكان ذلك خيراً لها على كل حال ، فما كانت لتسعد معه لو أنها تزوجته كنت أتوقع أن تعود إلى عندما حدث هذا ، ولو أنها فعلت لتزوجتها .

– على الرغم من .. لم يكن الذنب ذنبها ، فقد أدار رأسها بوعوده الحلوة وكل شئ ، أوه إنها أطلعتنى على كل شئ ، ولم يكن في نيتها أن تنتحر غرقاً بكل تأكيد ، فهو لم يكن ليستحقها.

– أين كنت في الساعة الثامنة والنصف من مساء أمس يا ايلليس ؟.

وتساءل سير هنرى إذا كان قد توهم ذلك ، أو إذا كان قد رأى حقاً ظلا من الإرتباك في الرد السريع .. الذى جاء بأسرع مما يجب فقد قال ايلليس :

– كنت هنا أقوم بتركيب بعض الرفوف في المطبخ من أجل مسز بارتليت سلها وستقول لك ذلك .

قال سير هنرى يحدث نفسه :

" إنه سارع بالرد في حين أنه رجل بطئ ، يفكر في بطء ومع ذلك فقد رد برباطة جأش ، وأعتقد أنه أعد رده مسبقاً ".

ولكنه لم يلبث أن عنف نفسه قائلاً وهو يتهم خياله :

ولكن لا إننى أتوهم أشياء .. نعم ، حتى هذه الومضة التى لمعت فى عينيه الزرقاوين وهو ينطق بكلماته ".

وألقى رجل البوليس عليه بضع أسئلة أخرى أجاب جو عليها ، ثم انصرف الرجال الثلاثة ولكن سير هنرى تعلل بحجة ما ، ومضى إلى المطبخ وكانت مسز بارتليت ، منهمكة أمام الفرن ، وتحولت إليه وعلى شفتيها ابتسامة حلوة ، وكانت هناك رفوف جديدة مركبة فى الحائط ، ولم يكن تركيبها قد تم بعد ، كما كانت أدوات النجارة وبقايا الخشب لا تزال ملقاة فوق الأرض .

– أهذه هى الرفوف التى ركبها ايلليس أمس ؟.. لعمرى أن جو هذا نجار بارع حقاً .

ولم يكن فى عينى المرأة أى خوف أو قلق .

أتراه قد تخيل الخوف الذى رآه فى عينى ايلليس ؟.. طبعاً لا ، لقد ارتسم ظل من الخوف فى عينى الشاب فعلا ، وعاد يقول محدثا نفسه " يجب أن أجلو هذا السر ".

واستدار نصف دورة لكى يخرج من المطبخ ، واصطدم بعربة أطفال ، فأسرع يقول :

– أرجو أن لا أكون قد ايقظت الوليد .

ولكن مسز بارتليت ضحكت ضحكة مرحة وقالت :

– أوه ، كلا ياسيدى ليس لدى أطفال .. وهذا أمر مؤسف إننى أستخدم هذه العربة فى نقل الغسيل وإعادته إلى أصحابه .

- آه فهمت .

وأمسك عن الكلام وعاد أدراجه بدافع غريب وقال :

- مسز باتليت ، إنك كنت تعرفين روز أيموت .. فما رأيك فيها صراحة؟.

نظرت إليه في فضول وقالت :

- لقد كانت طائشة يا سيدي ولكنها ماتت الآن ، ولا أحب أن أتكلم بسوء عن الموتى .

ولكن يدفعني إلى هذا السؤال سبب وجيه .. وجيه جداً .

تكلم سير هنري بلهجة مقنعة ، وبدا أن المرأة تزن الأمر جيداً ونظرت إلى وجه محدثها فاحصة ، ثم قالت في هدوء وقد استقر منها العزم :

- كانت فتاة غير صالحة ، ولكنني ما كنت لأقول هذا أمام جو ، فقد كان المسكين كلفا بها جداً ، إن هذا النوع من النساء يعرف كيف يلعب بعقول الرجال ، وهذا عمل معيب ولا شك إنك تفهم ما أقصده يا سيدي..

نعم كان سير هنري يفهم .. كان الشباب الذين على شاكلة ايلليس كثيرين ومن السهل أن يقعوا في الحب ، وهم على درجة كبيرة من السذاجة ولكن إذا ماصدموا في شعورهم نتيجة اكتشافهم الخيانة فإنه يمكن أن يتملكهم العنف والعنف الشديد .

وغادر البيت وهو يشعر بالحيرة والقلق ، فقد اصطدم بعقبة كبيرة ذلك أن جو ايلليس ، قضى الأمسية كلها في البيت في تركيب الرفوف ، وبقيت مسز باتليت بجواره ، فماذا يفعل ؟.. هل يستطيع أن يكذب الحقائق ؟ لم يكن هناك أي شئ يثير الشك اللهم إلا تلك السرعة التي رد بها جو ايلليس وكأنه

يعيد درساً حفظه عن ظهر قلب .

وقال ملشيت :

- حسناً .. يبدو أن كل شئ قد أصبح واضحاً .

وافقه المفتش قائلاً :

- بلي في غاية الوضوح ، إن ساندفورد هو رجلنا لا يمكنه أن يفلت منا ، إن الأمر واضح وضوح النهار ، من رأيي أن الأب والفتاة عقدا العزم على تهديده وابتزاز ماله ، ولم يكن يملك ما يكفى من المال لإرضائهما ولم يشأ أن تصل هذه القصة البغيضة إلى مسمع خطيبته .. كان يائساً ودفعه اليأس إلى هذا التصرف .

وأردت بقولي وهو يخاطب سير هنرى فى احترام :

- ما رأيك ياسيدى ؟.

أجاب المدير السابق لإدارة اسكوتلانديارد على مضض :

- هذا جائز ، ومع ذلك فهناك شئ يزعجنى ، لا أستطيع أن أتصور ساندفورد مقدماً على تصرف عنيف كهذا .

ولكنه كان متأكدا أن اعتراضه هذا لم يكن يساوى شيئاً ، خاصة وهو يعرف أن أشد الرجال هدوءا يمكن إن يقدم على أغرب الأعمال فى لحظة من لحظات الغضب وقال فجأة :

- أود أن أرى الغلام أيضاً ، ذلك الذى سمع الصيحة .

وكان جيم براون صبياً صغيراً بالنسبة لسنه ، ولكنه يبدو ذكيا وحصيفاً ولم يجد أية صعوبة فى إثبات ذكائه ، فقد كان يتلهف على أن يستجوبه

رجال البوليس ، وبدت عليه أمارات الخيبة عندما قوطع في منتصف قصته عن مأساة الأمس ، وكان قد أمضى وقتاً طويلاً في إعدادها في ذهنه .

قال له سير هنرى :

– فهمت من قصتك أنك كنت في الناحية الأخرى من الجسر ، وإنك كنت قادماً من القرية وعبرت الجسر هذا هو ما حدث؟.. اليس كذلك ؟.. هل رأيت أحدا عندما بلغت الجسر ؟.

– كان هناك رجل يسير في الغابة ،وأظنه مستر ساندفورد المهندس الذى يبنى ذلك البيت العجيب .

تبادل الرجال الثلاثة النظر :

– تقول إنك رأيته قبل أن تسمع الصرخة بعشر دقائق ؟.

أحنى الغلام رأسه علامة الإيجاب .

– هل رأيت شخصاً آخر على طول الشاطئ من ناحية القرية ؟.

– رأيت رجلا كان يمشى في بطء وهو يصفر .. لاريب إنه هو جو ايلليس .

قال المفتش في حدة :

– ما كان في مقدورك أن تعرف من هو ، فقد كان هناك ضباب ثم إن الوقت كان ليلاً .

– ولكنني عرفته من صفيره .. فإن جو يصفر دائماً اللحن " أريد أن أكون سعيداً ".

وكان جيمى قد تكلم بلهجة حافلة بكل ما يحس به من ازدراء نحو رجل

غبى بليد ..

قال ملشيت

– فى مقدور أى شخص أن يصفر نفس اللحن . هل كان متجهاً نحو الجسر .

– كلا ، بل كان متجهاً نحو الطريق الآخر .. نحو الغابة .

فكر ملشيت قليلاً ثم قال :

– لا أظن أننا بحاجة إلى الاهتمام بهذا الرجل الغريب ، إنك سمعت الصرخة التى أعقبها سقوط جسم فى الماء ، وبعد بضع دقائق خيل لك أنك ترى جسداً يجرفه التيار فأسرعت تبحث عن النجدة ، وعبرت الجسر وانطلقت تجرى نحو القرية ، ألم تر أحدا بجوار الجسر عندئذ ؟.

– أظن أنه كان هناك رجلان ، ومعهما عربة صغيرة على الشاطئ بجوار الجسر ولكنهما كانا بعيدين جداً ، ولا أدرى هل كانا قادمين من القرية أو ماضيين إليها ، وكان البيت أقرب منى إليهما فأسرعت إليه.

قال ملشيت :

– إنك أحسنت صنعاً يابنى إنك تصرفت تصرفاً جميلاً أظن أنك تنتمى إلى الكشافة ؟.

– نعم يا سيدى .

– حسناً ، هذا جميل .

بقى سير هنرى صامتاً لحظة وقد غرق فى التفكير ، وأخذ ورقة من جيبه

بسطها، ونظر إلى الكتابة المسطورة عليها ثم هز رأسه ، كان الأمر يبدو بعيد الاحتمال مع ذلك .

واستقرت نيته على الذهاب إلى مس ماربل .

واستقبلته فى غرفة الصالون ، وكانت غرفة صغيرة جميلة الرياش ، عامرة بالتحف الثمينة وخاطبها قائلاً :

– اتيت لكى أقول لك مدى ما وصلت إليه من تحريات ، وأخشى أن يكون الأمر على غير ما تظنين فإنهم سيلقون القبض على ساندفورد .

– ألم تجد شيئاً يمكن أن ، ماذا أقول ، أن يؤيد نظريتنا .. (وبدت عليها امارات الحيرة والقلق) ، لعلنى أخطأت ، أخطأت تماماً ، ولكنك على دارية كبيرة ياسير هنرى بحيث لا يمكن أن تخفى عليك الحقيقة .

أجاب سير هنرى :

– إذا أردت الحقيقة فإننى أكاد لا أصدق ذلك ، ثم إننا نصطدم بدليل نفى لا يمكن نقضه فقد قضى جو ايلليس الليل فى تركيب رفوف فى مطبخ مسز بارتليت وكانت هذه الأخيرة معه طوال الوقت .

أجفلت مس ماربل ، وانحنت إلى الأمام وأخذت نفساً طويلاً ، ثم قالت :

– ولكن هذا غير ممكن ، فقد حدثت المأساة مساء يوم الجمعة .

– مساء يوم الجمعة ؟..

– نعم .. ففى مساء كل يوم جمعة تمضى مسز بارتليت لإعادة الغسيل لأصحابه .

اضطجع سير هنرى فى مقعده إلى الوراء وعادت قصة الغلام إلى ذهنه

قصة الرجل الذى يصفر نعم .. إن كل شئ يتطابق ويجد مكانه تماماً .

ونهض وأخذ يد مس ماربل بين يديه ، وضغط عليها فى رفق وقال :

– أظن أننى بدأت أرى كل شئ فى وضوح يامس ماربل سأحاول أن اهتدى إلى الحلقة الناقصة .

وبعد خمس دقائق كان قد عاد من جديد إلى بيت مسز بارتليت ، ووجد جو ايلليس فى غرفة الصالون الصغيرة المزدحمة بمختلف التحف ، وإبتدره قائلا :

– إنك كذبت علينا يا ايلليس بخصوص الليلة الماضية . فأنت لم تكن فى المطبخ ، ولم تركب الرفوف فيما بين الثامنة والثامنة والنصف ، فقد رآك بعضهم على شاطئ النهر بجوار الجسر قبل مقتل روز أيموت ببضع دقائق.

إبتلع الرجل ريقه بصعوبة قائلا :

– ولكنها لم تقتل .. كلا ، ليس هذا صحيحاً . إنها ألقت بنفسها فى النهر كانت يائسة وما كنت لأمس شعرة من رأسها .

– لماذا كذبت على إذن ؟.. لماذا لم تقل الحقيقة على الفور ؟.

تهربت عينا الشاب فى ارتباك وقال :

– كنت خائفاً ، فقد رأتنى مسز بارتليت هناك وعندما عرفنا ما حدث بعد ذلك بقليل .. حسناً .. خطر لها أن الأمر قد يكون فيه ضرر لى ، ورأيت أن أزعم أننى كنت أقوم بتركيب الرفوف هنا ، ووافقتنى هى على ذلك .

لم ينطق سير هنرى ، وإنما ترك جو ايلليس وحده فى الغرفة ، وأسرع إلى المطبخ حيث كانت مسز بارتليت تغسل الأطباق ، وبادرها قائلاً :

- مسز بارتليت ، إننى أعرف كل شئ ، وأظن أن من الأوفق لك أن تعترفى إلا إذا أثرت أن يشنق جو ايلليس بسبب شئ لم يفعله .

كلا .. إننى أعلم تماماً أنك لا تريدين أن يقع هذا ، إنك خرجت لتسليم الغسيل لأصحابه ، والتقيت بروز أيموت ، وكنت تظنين أنها ستترك جو ايلليس لكى ترحل مع ذلك الغريب ، ولكن هاهى ذى تنتظر مولوداً ، وجو ايلليس على استعداد لكى يخف لنجدتها ، ولكى يتزوجها إذا رضيت به ولكنه يقيم فى بيتك منذ أربع سنوات ، وقد وقعت فى هواه ، وأردت أن تحتفظى به لنفسك ، وبدأت تكرهين الفتاة ، لم تستطيعى احتمال فكرة أن تأخذ منك تلك الفاجرة الحقيرة الرجل الذى تحبينه ، أليس كذلك ؟ فأمسكتها من الخلف من كتفيها ، ودفعت بها إلى النهر ، وبعد دقائق التقيت بجو ايلليس ، ورأكما الغلام جيمى معاً ، ولكنه توهم بسبب الظلام إن العربة الصغيرة عربة أطفال يجرها رجلان وقد سارعت فاقنعت جو بأن الشكوك يمكن أن ترقى إليه واختلقت هذه القصة لإبعاد التهمة عنه ، فى حين أنك كنت تحاولين إبعادها عنك أنت فى الواقع ، هل أنا على صواب أم أننى أخطأت .

وانتظر وهو يكتم أنفاسه .

وكانت واقفة أمامه تجفف يديها فى مئزرتها ، وهى تدرك فى بطء فى نفس الوقت هزيمتها وقالت أخيراً فى صوت هادئ منخفض أدرك سير هنرى فجأة خطورته الشديدة :

- هذا هو ما حدث ، ولا أدرى ما الذى جرى لى ، ولكنها كانت فتاة فاجرة وخطر لى فجأة إنها قد تنتزع منى جو ولم أكن سعيدة فى حياتى

يا سيدى ، فقد كان زوجي فقيراً شرساً ، أقعده المرض واضطررت إلى العناية والاهتمام به ، ثم جاء جو للسكنى هنا ، وأنا لست امرأة مسنة على الرغم من المشيب الذى خط شعرى ، فقد بلغت الأربعين منذ قليل ، وجو شاب وحيد ليس له مثيل بين ألف من الرجال ، وما كنت لأتردد عن شئ فى سبيله .. ما كنت لأتردد أبداً .. كان كالطفل الوديع الظريف الساذج .. كان ملكى أنا .. ولكن جاءت هذه .

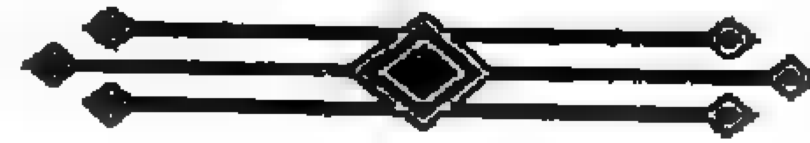
وشهقت باكية ، ولكنها سرعان ما تغلبت على مشاعرها ، وحتى فى هذه اللحظة ظلت امرأة قوية ، فانتصبت قامتها ، والقت نظرة كلها فضول على سير هنرى واستطردت :

- إننى على استعداد لأن أتبعك ياسيدى ، ما كنت لأعتقد أبداً أن فى مقدور أحد اكتشاف الحقيقة ، ولا أدرى كيف استطعت أنت أن تعرف ذلك لا أدرى حقاً .

هز سير هنرى رأسه فى رفق وقال :

- الحق أنني لم أعرف .

ونطق بكلماته هذه وهو يفكر بكل صدق وإخلاص فى الورقة الصغيرة التى انتزعتها مس ماربل من دفترها ، والتى سطرت عليها بخطها الصغير الدقيق هذه الكلمات ، مسز بارتليت التى يسكن عندها جو ايلليس ومرة أخرى كانت مس ماربل على صواب .



أين النقــود

لم تكن هناك نسمة هواء ، وكان يوم الإثنين من شهر يوليه الذى نحن بصدده من أشد أيام الصيف حراً ، وكنت مسترخياً مترنحاً على مقعد خشبى ذى رقائق حديدية ، فى ظل مبنى المحكمة القديمة تحت نوافذ الطابق الأول ، حيث يوجد مكتبى ، وكان يعلوها الغبار والشوارع تكاد تكون مقفرة ، إذ لجأ أغلب الناس إلى الشاطئ هرباً من سخونة الجو .

ورأيت السيارة المكشوفة تقف عند الإشارة الحمراء ، وهى واحدة من إشارتين تملكهما المدينة ، وكان السائق وحده ولم أكن أعرفه وبدا نافذ الصبر ، وترك المحرك يدور فى انتظار تغيير الإشارة ، وعندما تحولت هذه إلى اللون الأخضر انطلق كالإعصار .

وبعد عشر دقائق أقبلت سيارة من ناحية البحيرة واجتازت المفارق بكل سرعة ثم جاءت وتوقفت أمامى ، وتوقعت حدثاً جللا حتى قبل أن تصرح المرأة التى أمام عجلة القيادة قائلة عبر النافذة المفتوحة .

– أيها الشريف وقعت حادثة بجوار البحيرة ، وأظن أن رجلاً مات .

كانت السيارة المكشوفة قد حادت عن الطريق العمومى على مقربة من

البحيرة ، وهو طريق متعرج ينقسم إلى دربين ، ولابد للسائق أن يكون على أتم الحذر والحيطة وهو يقود سيارته فى هذه الناحية كما تشير اللافتات الموضوعة هناك بذلك ، ولكن صاحبنا كان فى عجلة من أمره ، ويبدو أنه لم يلحظ اللافتات ، فحادت السيارة عن الطريق عندما حاول أن يدوس على الفرامل فانقلبت وانحشرت بين شجرتين ضخمتين وطار السائق من مقعده ووقع على صدره فوق الأرض وتهشمت أضلاعه وتحول وجهه إلىّ وانحنيت فوقه ولم أكن أعرفه .

وعدت إلى سيارتى ، وأخذت غطاء من صندوقها واستقبلت بسرور بوليس المرور الذين أخطرتهم بواسطة جهاز اللاسلكى فى سيارتى ، وأ بعدت جمهور المتطفلين الذين بدأوا يتجمعون فى مكان الحادث ثم مضيت إلى ما تبقى من السيارة المكشوفة ، وجثوت وسط الحطام الذى تسبب فى الإصطدام ،وفتحت الباب الذى بجوار السائق وتناولت بطاقة من البلاستيك تحت عجلة القيادة لكى أرى رخصة السيارة . كانت هذه ملكاً لشخص يدعى ر . م . برادستون من مدينة سانت بول وعدت إلى الجثة ووجدت بأحد جيوبها محفظة بها بطاقة بأسم ر . م . برادستون وكيل إحدى الشركات التى تصنع التوابيت .

وبعد ساعة كنا قد فرغنا من كل شئ ، فقد نقل ايدناسون الجثة وايدناسون هذا هو صاحب محل دفن الموتى الوحيد فى المدينة وانتزعنا تونى سكالى صاحب الجاراج من عوامته التى صنعها بنفسه حيث يقضى فيها هو وزوجته مارفى بعد ظهر كل يوم من أيام الصيف بين السباحة وبين الاسترخاء والاستلقاء لتعريض جسديهما لأشعة الشمس ، وقد حاول أن يخفى استياءه لأننا انتزعناه من متعته المحبوبة فمضى وركب قاطرته

وسحب السيارة المحطمة حتى جاراجه وراح رجال المرور يراقبون حركة المرور من جديد .

وركبت سيارة الخدمة وعدت كان الحر داخل المبنى القديم لا يطاق ولكننى على الرغم من ذلك كتبت التقرير الخاص بالحادث ، واتصلت تليفونياً بشركة التوابيت بسنت بول ، وهى تقع على بعد تسعين كيلو مترا ، وأخبرت أحد مديريها بما حدث ، فتلقى نبأ موت ر ، م . برادستون بدهشة كبيرة وطلبت منه أن يتصل بايدناسون لنقل الجثة .

وبهذا انتهى كل شئ بالنسبة لى ، على الأقل حتى هبت عاصفة عنيفة على المدينة فى تلك الليلة حملت معها سيلاً من الأمطار فى صباح اليوم التالى ، ورجلا أنيقاً قال إن اسمه اتويل ليمسون ، وأنه مدير الشركة التى كان برادستون يعمل بها ، وطلب منى خمسة وعشرين ألف دولار نقداً قال إنها كانت مع برادستون .

قلت مشدوهاً :

- نقداً ؟.

ودفعت إليه ، فوق المكتب بالأشياء التى وجدناها فى جيوب برادستون وقلت :

- إننى لم أجد معه شيئاً يا مستر ليمسون ، لم نجد خمسة وعشرين ألف دولار بكل تأكيد ، لم يكن غير سبعة وثلاثين دولارا فى محفظته وقطع نقود صغيرة فى جيبه ، وهذا كل شئ .

اتسعت عينا ليمسون وقال :

- إن المبلغ كان فى السيارة فى أبوابها ..

- ماذا ؟.

- إن معاملاتى كلها بالنقد أيها الشريف ، ان وكلائى يبيعون ويقبضون ونقوم نحن بالتسليم ، وكان برادستون عائداً إلى سانت بول بعد أن عقد صفقة ، واتصل بالمكتب تليفونياً قبل ذلك بيومين ، وهذا المبلغ كان يجب أن يكون موجوداً فى أبواب السيارة ، وكان يتصرف كهذا حتى يضمن عدم ضياعه فى الطريق .

وافقت الرجل القصير الأنيق على أن التعامل بالنقد أفضل ، وأنا نفسى كنت أحبذ هذه الطريقة ، فلم أكتب على نفسى كمبيالة فى أى وقت من الأوقات ، ولم أشتر أى شئ على الحساب ، ولم تكن بى أية ثقة فى الشيكات ، وإذا كنت لم أمتلك البيت الصغير الذى أصبوا إليه فذلك لأنه كان ينقصنى ستة آلاف دولار لكى أدفع ثمنه نقداً ، ولكن من العسير أن يقبل أحد دفع خمسة وعشرين ألف دولار نقداً ، فإن أغلب الناس لا يدفعون بل لا يستطيعون سداد هذا المبلغ .. بهذه الطريقة .

وعبرت له عن رأيى هذا بصوت مسموع ، ولكن لم يكن من جراء ذلك إلا أن ازداد ليمسون قسوة وضراوة وراح يصرخ ويؤكد أن هذا المبلغ موجود فى السيارة المكشوفة المحطمة ، ولم يسعنى إلا أن أقول :

- حسناً جداً سنذهب إلى جاراج تونى سكالى ، فهناك يوجد حطام السيارة ، وسنرى إن كان فيها أى شئ .

وكان جراج تونى على بعد خطوات ، ولكن لم نكن نستطيع مع ذلك أن نذهب إليه تحت سيل المطر ، فركبنا سيارة الخدمة ، وفتح تونى الباب

الكبير بمجرد أن سمع بوق السيارة ، ثم أغلقه خلفنا ، ولحق بنا ونحن نهبط من السيارة ، كان رجلا قصيراً ، ربعة القوام ، فى الخامسة والأربعين من عمره ، له وجه مستدير أسمر وشعر داكن وأصابع معوجة تصبح أدوات ساحرة عندما يتعلق الأمر بإصلاح أى نوع من المحركات ، وكان لا يهتم بشئ آخر غير عمله ، إلا زوجته وعوامته والصيد تحت الماء ، وكان طوال شهور الصيف يشتغل فى الجاراج فى الصباح والمساء ، أما فترة بعد الظهر فكان يكرسها لمارفى وللبحيرة ومسرات الماء .

كانت مارفى بكل تأكيد أجمل فتاة فى المدينة ، وكانت فى مثل سنى ، أى أصغر من زوجها بسبعة عشر عاما ، وكان هناك كثيرون فى المدينة لم يفهموا كيف رضيت منذ أربع سنوات ، أن تتزوج بتونى سكارنى ، كان هذا الزواج قد تم بعد خمسة شهور من وفاة والد مارفى ، وكان شريكا لتونى وقد أثار أكبر دهشة عندئذ ، وقال بعضهم إن مارفى أحست بالوحدة بصورة غريبة ، وإنها كانت بحاجة إلى الأمان بعد موت أبيها ، وقال البعض الآخر إنها كانت تشكو من عقدة أوديب .

وأنا نفسى لم أفهم هذا الزواج أبدا ، والواقع أنه كان هناك وقت كنت أتخيل نفسى فيه أنا ومارفى أمام القسيس حيث يعقد زواجنا .

أومأ تونى سكارنى محييا ، ونظر إلى أتويل ليمسون فى دهشة ، وشرحت له سبب قدومنا فبدأ عليه الذهول وقال :

– هل تمزح يا شارلى ؟.

سألته :

– هل فحصت العربة ؟.

- طبعاً ألقيت عليها نظرة لم يبق منها أى شئ ، إنها تهشمت تماماً ولا أدرى كيف يمكن إصلاحها أما التفتيش فى الأبواب فليس من خصائصى .

- فلنذهب لرؤيتها .

كان هيكل السيارة المكشوفة موجودا فى ركن مظلم من الجراج وأخذ تونى أدواته ، وراح يعمل فى الأبواب وأزال ما حولها من تنجيد وكان داخلها فارغاً .

نظرت إلى أتويل ليمسون محاولا أن أستشف أفكاره ، ولكن وجهه ظل جامداً ، ولم ينم عن غضبه غير عينيه ، وانفجر فجأة وقال فى صوت حاد :

- من منكما الذى سرقه ؟. من الذى أخذ نقودى ؟ .. أين تخفيانها ؟ إن واحدا منكما .

صحت به :

- هذا يكفى .

كان يريد أن يزيد ، ولكنه سكت عندما أمسكته من ذراعه ودفعته نحو عربة الخدمة ، ثم عدت إلى تونى وكان يعيد الأبواب مكانها .

وقال :

- من هذا المعتوه يا شارلى ؟.

قلت دون أن أكذب :

- لا أدرى .

وكان تونى جاثيا على ركبتيه مركزاً كل إهتمامه إلى عمله ، وكنت واقفاً

خلفه أنظر إلى جسمه الضخم وأنا أتساءل هل صحيح عثر على المال ولم يقل شيئاً عنه ؟.

وأدار رأسه فجأة ونظر إليّ من فوق كتفه الضخم وقال :

– إننا نرى هذه الأيام أنواعا كثيرة من المجانين يا صاحبي ، أليس كذلك ؟.

قلت :

– نعم هل لمس أى أحد غيرك هذه العربة بعد أن جئت بها إلى هنا ؟.

– كلا ..

– ألم يقترب منها أحد ؟.

– أبداً .. أنت تعرف كيف تجرى الأمور هنا عندما يقع حادث يا شارلى إن الناس فضوليون بطبعهم ، خاصة إذا ما لقى أحدهم مصرعه ، فإنهم يدخلون ويخرجون لمشاهدة السيارة ولكن .

وفجأة هب على قدميه وقال :

– ولكن لا أظنك تصدق قصة ليمسون هذا .. لا أخالك تعتقد أنه كانت بهذا الحطام نقوداً حقاً .

– كلا ما أعرفه يا تونى هو أن ليمسون شديد الغضب .

حقاً ؟ حسناً عليه أن يهدأ إذن .

ابتسمت وربت على كتفه وقلت له :

– إلى اللقاء يا تونى سأحاول فيما بعد أن أعرف ماذا يريد ليمسون أن

يفعل بهذا الحطام ، إن السيارة كانت مسجلة بإسم برادستون ولكن يحتمل أن تكون ملكاً للشركة .

– حتى الآن لم تكلفه السيارة فى الجاراج مليماً واحداً ، ولكن ابتداء من هذه اللحظة سيدين لى ليمسون بمبلغ خمسة دولارات عن كل دقيقة تبقى بها سيارته حتى ينقلها من جراجى .

لم يكن غضب ليمسون قد خفت حدته عندما عدنا إلى مبنى المحكمة ، ففتحت الباب وهبط تحت المطر قبل أن أستطيع أيقاف المحرك ، ثم تحول ونظر إلى فى غلظة وقال بصراحة :

– بعضهم سرق خمسة وعشرين ألف دولار .

– إن مثل هذا الاتهام قد يسبب ضرراً كبيراً ياليمسون ، ولعل من الأوفق أن تستشير محامياً .

– سأهتم بهذا الأمر بنفسى أيها الشريف .

– حقاً ؟.. وكيف هذا ؟.

ولكنه صفق الباب وابتعد ورأيته يمضى تحت المطر وكان يمشى كما لو كان لا يحس بأية قطرة ثم صعد فى سيارة صغيرة متألقة وانطلق .

شعرت بالقلق .. ولم أشأ أن أصدق وجود الخمسة والعشرين ألف دولار ومن ناحية أخرى ، لماذا يختلق ليمسون ، وهو غريب عن هذه المدينة مثل هذه القصة ، وإذا كانت الدولارات قد وجدت فى السيارة حقاً ، فأين هى الآن ؟.

فكرت فى تونى .. إنه كان رجلاً شريفاً ، يباشر عمله بحذق ومنفعة ،

ومع ذلك أفلا يمكن أن يكون لضخامة هذا المبلغ النقدى أكبر إغراء مهما بلغ شرف الإنسان ؟.

وحولت اهتمامى إلى عملى الروتينى لكى أطرد من ذهنى قصة ذلك المبلغ المختفى ، واضطررت إلى الذهاب بالعربة إلى الريف لتسليم أوراق طلاق لمزارع شاب ، وفى أثناء عودتى مررت بموتيل هايواى حيث رأيت سيارة ليمسون ، وكانت واقفة أمام غرفة ، ولم يكن بها أحد ، ولم يرق لى وجود هذه السيارة فى ذلك المكان ، ولكننى لم أستطع أن أفعل شيئاً .

ومر الوقت ، وكان صباح يوم الأربعاء صحوا ورطباً ، وراح البخار يتصاعد من الأرض المبتلة بالماء ، ومررت من جديد أمام موتيل هايواى فى طريقى إلى المكتب ، لم تكن سيارة ليمسون هناك ، فأحسست بالارتياح ولكن جاءتنى فى نحو الساعة لعاشرة مكالمة من مسز هولمز صاحبة الموتيل تقول :

– أن إحدى الغرف تحطم ما فيها من أثاث ومفروشات وإن نقطا من الدم تلوث السجادة ، وكانت الغرفة المذكورة هى التى كان يشغلها ليمسون وسألتها :

– هل رأيته وهو يغادر الموتيل اليوم ؟.

– كلا ..

– وهل سدد إيجار الغرفة ؟.

– إننى أحصل على الإيجار مقدماً دائماً .

– هل زاره أحد أمس ؟.

- نعم ولكن لاريب أن ذلك قد حدث بعد الساعة الواحدة صباحاً فقد بقيت فى مكتبى حتى ذلك الوقت ، ولم أر أحدا يدخل أو يخرج .

- أو لم تسمعى شيئاً ما ؟.

- كلا ..

- يخيل لى يا مسز هولمز أن مشاجرة وقعت .

- وهذا الدم ؟.

- قد يكون سببه نزيف من أنفه أو من بعض الجروح لا أظن هناك شيئاً خطيرا ، ومهما يكن فإن السيارة قد اختفت ولم يترك الرجل شيئاً هنا وهذا ما يثبت أنه أخذ متاعه وانصرف .

قالت مسز هولمز وهى تهز رأسها :

- كانت معه حقيبة وقد رأيته يخرجها من سيارته ويمضى بها إلى غرفته بعد أن سجل اسمه فى السجل .

- أستطيع أن أعطيك عنوانه التجارى .

- أكون ممتنة لك أيها الشريف فيجب أن يدفعوا لى ثمن التلفيات .

وعدت إلى المدينة ، وذهبت إلى جراج تونى سكالى وأنا أشك قليلاً فيما حدث ، فقد هبط ليمسون فى الموتيل ولاريب أنه تكلم فى التليفون مساء يوم الثلاثاء واتهم تونى مرة أخرى بسرقة المبلغ فاستاء تونى ومضى إلى الموتيل ليؤدبه .

هذا ما حدث بغير شك ، وقد دفعنى تونى إلى الإحساس بذلك عندما

رأيته فى الجاراج ، فقد كان يبدو مشاكساً وأكبر من سنه بنحو عشر سنوات ، وزادت غصون وجهه ، واكتست عيناه بنظرة جوفاء .

وكان يضع شريطاً لاصقاً على جزء من وجهه ، يبدأ من عينه اليسرى حتى أذنه وبظاهر يده جروح كثيرة ، وقال قبل أن أسأله عن أى شئ :

– وقع على رأسى مفتاح إنجليزى فشجها وأصابنى بجراح .

وكان كاذباً ط اً ولكننى لم أستطع مناقشته وقال :

– ما الذى أتى بك اليوم يا شارلى ؟ هل أصيبت السيارة بعطب ؟.

أجبت :

– إنما أريد أن تغير لى العجلات .

أيمكن أن تنتظر حتى يوم الجمعة ؟ فى الساعة التاسعة صباحاً ؟.

– لا بأس يا تونى .

ولم تكن بى رغبة فى استجواب مارفى ، ولكن كان لابد من ذلك إذ كنت أنشد راحة البال ، وجاءت إلى الباب وهى ترتدى قميصاً أبيض وبنطلوناً أحمر ، حافية القدمين ، كانت سمراء وكان واضحاً أنها صبغت شفتيها بالأحمر لتوها ، وأحسست عندئذ بأحساس الحرمان الذى طالما أحسست به .. لو أنها انتظرتنى سنة واحدة لإستطعت أن أجمع الضرورى من المال لكى نبدأ حياتنا على أسس ثابتة .

وقدمت لى القهوة على مائدة المطبخ وجلست أمامى ، جميلة تتدفق حياة وراحت عيناها المنقطتان بالأخضر تومضان ، وخطر لى عندئذ أنها تدرى تماماً بما أشعر نحوها .

لم تكن تجهل قصة نقود ليمسون فقد أخبرها تونى بها ، وعندما أوحيت بأنه ربما جاءته مكالمة مساء يوم الثلاثاء وأنه ربما ذهب على أثرها إلى الموتيل تجهم وجهها وأسرعت تقول :

- إنه بقى فى البيت طوال الليل يا شارلى بقينا معاً هنا ، وشاهدنا التليفزيون ثم أوينا إلى الفراشس وقت مبكر ولم تأت أية مكالمة تليفونية لتونى ولم يغادر البيت .

عرفت إنها تكذب وتحاول حماية زوجها ، وأردفت تقول :

- إنك تعرف تونى ، إنه شاب ظريف لا يتشاجر مع أحد .

- ولم أكن قد تحدثت أبداً عن المشاجرة التى وقعت فى الموتيل .

ولم يكن هناك عمل كثير لا يوم الأربعاء ولا يوم الخميس . وحاولت ألا أفكر إلا فى البيت الذى أريد أن أشتريه . وفى نائبى الذى يقوم بأجازته ولكن كان هناك خلف هذا كله خمسة وعشرون ألف دولار نقداً ، وحادث سيارة ، وصاحب جراج وزوجته الحسناء ورجل إسمه ليمسون ، ومشاجرة وقعت فى إحدى غرف الموتيل .

هل أخذ تونى سكالى الخمسة وعشرين ألف دولار، وخبأها وضرب ضرباً مبرحاً رجلاً أتهمه بالسرقة ؟.

وفى يوم الجمعة تشكلت شكوكى فقد وجدت عند عودتى إلى المكتب بعد الغداء رجلين فى انتظارى .. كل منهما عريض الكتفين متين البناء يرتدى ثياباً تقليدية ، يتقد ذكاء ونشاطاً ، وعرضا علىَّ أوراقاً رسمية تدل على أنهما من رجال الخزانة الأمريكية ، وأرادا أن يعرفا إذا كنت قد سمعت عن

شخص يدعى أتويل ليمسون .

وأبديت حرصاً كبيراً فسألتهما لماذا يهتمان به دون أن أذكر لهما أننى التقيت به ، فأخبرانى بإيجاز أنهما يشتبهان فى أن ليمسون يبيع أسلحة لمناهضى ثورة كاسترو ، وأبديت لهما دهشتى من أن تقع مثل هذه المسألة فى مينيسوتا ، فى حين إن فلوريدا هى المكان المنطقى، ولكنهما قالا لى أنهما يشتبهان فى أن ليمسون يجمع البنادق المسروقة من مخازن الجيش والبحرية ويرسلها فى توابيت إلى فلوريدا .

وقال أحدهما :

- إننا نراقب أتويل ليمسون منذ شهور ، ونحن نعرف أنه يقوم بالاتجار فى الأسلحة ولكننا حتى الآن لم نستطع التدليل على ذلك .

قلت وأنا أتأهب لكى أحدثهما عن زيارة ليمسون دون أن أتعرض فى حديثى لتونى سكالى :

- كم ساعة تراقبانه فى اليوم ؟.

- طوال اليوم فيما عدا مساء ألاثنين .

ورأيت الرجل يلقى نظرة سريعة على زميله عندما قلت :

- الإثنين الماضى ؟ .

- كان أحد رجالنا يتبعه ولكن ليمسون هرب منه ، ولدينا من الأسباب ما يحملنا على الظن بأنه غادر سانت بول وجاء هنا .

- أية أسباب ؟.

استرد الرجل أنفاسه وقال :

– لم ير أحد منا ليمسون منذ مساء الإثنين ولكن إحدى سياراته وهي التى كان يركبها مساء الإثنين بالذات وجدت فى أحد شوارع سانت بول بعد أن أزيل ما عليها من بصمات .

وقد بدأ لنا ذلك غريباً ، وما زلنا نستغربه حتى الآن وبعد ذلك بقليل ، وأمس بالذات دخلنا مسكنه فوجدنا كل شئ على مايرام ، ولكننا وجدنا دفترا صغيراً بجوار التليفون ، وفى هذا الدفتر كتب ليمسون بخط يده إسم هذه المدينة .

– حسناً ؟.

هز الرجل كتفيه وقال :

– لا ندرى شيئاً أيها الشريف ، ولكننا نتعلق بقشة واهية ، وما زالت أمامنا فرصة فى أن يكون ليمسون قد أقبل هنا لسبب ما ، وأنه لايزال هنا ولكن لعله تخلص من سيارته لكى يستقل القطار ، ولعله استبدل السيارة بأخرى ، ولكن لو صح ذلك فلماذا يحرص على إزالة ما فى العربة من بصمات خاصة وأنها مسجلة بإسمه ولا يمكن أن يكون لديه من الأسباب ما يحمله على ذلك إلا إذا كان هناك سبب يحمل شخصاً آخر على إزالتها .

– هل تظن أن فى الأمر فخاً ؟.

– يجب توقع كل شئ من ليمسون .

تظاهرت بأننى أفكر مليا فيما ذكره لى ثم سألته :

– حسناً إذا افترضنا أن ليمسون جاء هنا ، وأنه ربما لا يزال هنا ، فما الذى يحملك على الظن بأننى أعرفه ؟ .. إذا صح ما تقول عنه فأنا آخر من

قاطعنى الرجل قائلاً

– هذه المدينة صغيرة أيها الشريف ، وأنت تعرف كل من فيها ، وتعرف كل غريب يأتى إليها .

قلت :

– هذا صحيح ولكن هذا موسم السياح ، وفى هذا الوقت من السنة تأتينا أفواج كثيرة منهم .

أجاب الرجل فى إعياء :

– هى فرصة أردنا انتهازها على كل حال ، وتبادل مع زميله نظرة فتوترت أعصابى ، كان لابد أن أتظاهر بالهدوء ، على الرغم من أننى لم أشعر بأى شئ منه ، فقد اضطربت أفكارى وتملكتنى الهواجس بأن تونى اكتشف الخمسة والعشرين ألف دولار فى الأبواب ولم يذكر شيئاً عنها ، ثم جاء أتويل ليمسون بعد ذلك ، وتصورت هذا الأخير يأخذ غرفة فى الموتيل ويتكلم فى التليفون مع تونى ، ويخفى هذه النقود بالاتفاق مع مارفى ، ثم يذهب إلى الموتيل ، وتصورته يقتل أتويل ليمسون ، أما قضاء وقدرا أثناء شجارهما ، وإما عمداً وتصورته يتخلص من الجثة ، ويمضى بسيارة ليمسون إلى سانت بول ، ومارفى تتبعه فى سيارة أخرى ، ثم يوقف تونى سيارة ليمسون فى شارع غير مطروق ، ويزيل ماعليها من بصمات ، ثم يعود هنا هو وزوجته ، ورأيت تونى أيضاً شارد النظرات فى صباح اليوم التالى ، يقول لى إن مفتاحاً إنجليزياً وقع على نافوخه وسمعت زوجته تكذب على .

– أيها الشريف !..

كان الرجلان ينظران إلى وقال الذي بدأ الكلام :

– سنقوم بالتحري في المدينة ، فمن الجائز أن نجد أحداً يعرف ليمسون أو سمع عنه .

– هل أستطيع مساعدتكما ؟.

– كلا .. سنتدبر الأمر وحدنا ، إنما أردنا فقط أن تعرف أننا هنا إذا ما اتفق واكتشفت شيئاً ما .

وغادر المكتب فجففت جبيني وتنفست الصعداء فإن هذه اللعبة التي قمت بها لم تكن تبشر بالخير ، ومع ذلك فقد ربحت .

وخطرت ببالي فكرة أخرى وهي لماذا لم يستفهم هذان الرجلان عن برادستون ، وعن الحادث الذي وقع له ، إذا كانا يعرفان كل هذه الأمور عن ليمسون ، أفليس معنى هذا أنهما يعرفان كل شئ عن برادستون كذلك ؟.. وإذا صح هذا أما كانا يعرفان أن برادستون وقع له حادث وأنه مات .

وقلت لنفسي :

– كان لابد أن يسألاني عن برادستون ، وأزعجني هذا ، كان يجب أن أحدثهما أنا عن ليمسون ، فقد كان من اليسير عليهما أن يكتشفا أين توجد السيارة المحطمة ، فأنهما سيذهبان إلى جراج توني ، وسيحدثهما هذا الأخير ، وإذا كان بريئاً ومن غير أن ينتظر استجواباً عن زيارتي أنا وليمسون له ، وعن قصة الخمسة وعشرين ألف دولار ، ومن ناحية أخرى إذا كان توني قد أخفى النقود وقتل ليمسون فلن يقول لهما كلمة عن برادستون بالطبع .

وفى الساعة الخامسة وهى ساعة إغلاق المكتب أحسست بأننى أحسن حالاً ، فإن الرجلين لم يعودا ، وقمت بجولة فى المدينة لم أرهما فيها ، فانطلقت فى الطريق المؤدى إلى البحيرة ، وكانت عوامة تونى تقع على مقربة من الجزيرة الوحيدة ، وجلست لحظة على الشاطئ أحدق بعينى فى العوامة ، كنت غيورا على الرغم من أننى لم أكن أريد التظاهر بذلك ، فإن هذه العوامة كانت بمثابة بيت آخر لمارفى أثناء الصيف ، وقد بناها تونى بنفسه كانت كبيرة وتقوم على عدد من البراميل وربطها بالشاطئ سلاسل متينة ، ويؤدى إليها جسر ضيق من الخشب ، وبها مصابيح تضاء بالبترول وقبة من القماش تغطى نصف موخرتها ، وكانت مارفى ، عندما تتعب من السباحة تتمدد فى الظل على مقعد مستطيل تكسوه الوسائد ، وكان هناك أيضاً موقد يعمل بالغاز وثلاجة صغيرة يحتفظ فيها تونى بشتى الأطعمة وبزجاجات البيرة .

كان كل ذلك يدمى قلبى ، فقد كان فى مقدورى أن أهيئ لها كل هذا .

وعدت إلى المدينة ورحت أتجول بالسيارة هنا وهناك حتى رأيت تونى يعود إلى جاراجه فى الساعة الثامنة ، وانتظرت عشرين دقيقة أخرى ثم دخلت وعلى الفور حسب أننى أتيت بسبب عطب ما فى العجلات التى استبدلها بسيارتى ، ولكننى طمأنته من هذه الناحية وحدثته عندئذ عن مندوبى الخزانة اللذين أتيا لزيارتى .

وكانت رأس تونى داخل إحدى السيارات وكان قد رفع الكاربيراتير فلم أر وجهه وهو يسألنى قائلاً :

- ماذا كانا يريدان ؟.

قلت له

– كل شئ دون مواربة وكنت أنتظر منه رد فعل عنيف ولكنه لم يبد غير شئ من الفضول فقال :

– يبدو أن ليمسون هذا رجل له شأن ؟.

قلت في حرص :

– نعم يبدو أنه كان كذلك .

نظر إلى في حدة وقال :

– كان ؟.. ماذا تعني ؟.

هززت كتفي وقلت :

– أعني ما أقول يا توني وذلك بسبب ما ذكره هذان الرجلان عن شكوكهما وعن الفخ وعن كل شئ .

– إن من يسمعك يا شارلي يعتقد إنك تمحو هذا الرجل الغريب من خريطة الأحياء .

– يخامرني إحساس بأن رجلي الخزانة يعتقدان ذلك .

– لا لشئ إلا لأنهما وجدا السيارة التي كان يقودها ؟.. لعله فطن إلى أمرهما ، وخطر له أن يخدعهما ، فتركها حيث هي وهرب .

– هذا جائز .

– ألم يلقيا أي سؤال عن برادستون ؟.

– كلا ..

– إنهما لم يأتيا هنا أيضاً ، ومعنى هذا أنهما لا يعرفان شيئاً عنه .

– إنك لم تكن هنا بعد ظهر اليوم يا تونى ، أليس كذلك ؟.. إنك كنت فى البحيرة .

إننى لم أخرج من هنا قبل الساعة الرابعة وأنا ذاهب إليها الآن .

قلت :

– كان أمامهما الوقت الكافى لكى يأتيا هنا ولكن لاريب أنهما لا يعرفان شيئاً عن برادستون حقاً .

– ولكن كيف استطعت أن تخفى عنهما إن ليمسون كان هنا يا شارلى إن ذلك الرجل لم يأت هنا ليتحدث معنا عن النقود فحسب ، وأصبحت أنت متشككاً ، وفجأة لم تعد تثق بى ، ومع إنك تعرفنى منذ الأبد ، وقد أتيت هنا فى اليوم السابق وذهبت لزيارة زوجتى وبدا عليك أنك لا تصدق قصة المفتاح الإنجليزى ، وقلت لمارفى إننى ذهبت إلى موتيل هايواى مساء يوم الثلاثاء ، وإننى تشاجرت مع ليمسون ، وإن من الجنون أن تظن ذلك ولكن لعلِ الخطأ فى كل ذلك سببه وظيفتك فأنت مضطر إلى موازنة المستحيل وغير المعقول ، وإذا بغير المحتمل يصبح حقيقة فجأة..

أجبت :

– نعم يا تونى الأمر كذلك أحياناً .

– ولهذا السبب تظن أنني عثرت على النقود فى السيارة المحطمة أليس كذلك ؟.

– هل هذا صحيح يا توني ؟.

نظر إلي وجها لوجه وقال :

- كلا .

كان تونى سكالى كذا باكيرا كان بمقدوره أن يقنع شخصاً آخر غيرى ولكنه لم يفلح معى ، لأنه للمرة الثانية جاء ذكر معركة فى حين أننى لم أكشف لأحد ما عرفته عن ليمسون فى غرفته بالموتيل .

وخلال الأيام التى تلت كنت أنتظر مكالمة من مواطن يكون قد علم بشئ ما ، واستمررت فى البحث ، وحاولت أن أرى رجلى الخزانة ورحت أتحرى لمعرفته إذا ما كان تونى ومارفى سكالى يتفقان أكثر من العادة ، ولكننى رحت أنقب على وجه الخصوص هذه المكالمة التليفونية ، فقد كنت أتصور أنه إن عاجلاً وإن آجلاً قد يكتشف أحدهم جثة فى مكان بعيد عن البحيرة ، وأن تكون هذه الجثة جثة أتويل ليمسون .

وجاءت المكالمة ألتى كنت أنتظرها بعد وقوع حادثة برانستون بثلاثة أسابيع وكانت الساعة عندئذ السادسة والنصف . وصحوت من نومى على رنين جرس التليفون وسمعت فى نهاية الخط صوتاً منفعلاً يكاد يكون هستيريا ، ولكن كان ذلك الصوت صوت مارفى سكالى ، وكانت موجودة فى الجاراج . وقالت لى إن تونى مات :

فتحت لى مارفى الباب لكى تدعنى أدخل ، ثم أغلقته وأسرعت وارتمت على صدرى ، وراحت تبكى بحرقة وكانت ترتدى بيجامة وثوباً مكشوفاً شفافاً لا يخفى أى منهما حرارة جسدها الذى كان يرتعش وهى تتشبث بى ووثب قلبى بين ضلوعى وهو يحس بحرارتها .

وأخيراً رفعت رأسها كان يبدو على ملامحها الأعياء . ولم تكن شفتاها

مصبوغتين ، وكانت عيناها قد جفتا ، ولكن آثار الدموع كانت لاتزال على وجنتيها وتمتمت تقول .

– شارلى .. أواه ياشارلى ..إنه .. إنه مات ..

– أين هو ؟.

ولم أكن أريد أن يكون صوتى بمثل هذه الغلظة ، وارتدت مارفى خطوة إلى الوراء ، وأخذتنى من يدى ومضت بى إلى مؤخرة الجاراج .

ورأيت إحدى السيارات وكانت بدون عجلتيها الأمامتين وأدركت حتى قبل أن تألف عيناى المنظر ،فقد كانت مرتفعة عن الأرض قليلاً فوق رافعة ، وعرفت أننى إذا نظرت تحت محورها فسأجد تونى ممداً تحتها ، ووجدته هكذا فعلاً وقد تناثرت حوله بعض الأدوات وتهشمت رأسه كانت القصة التى روتها مارفى تبدو معقولة ، فإن تونى عمل فى الجاراج إلى وقت متأخر ، أما هى فقد شاهدت التليفزيون وتكلمت بالتليفون مع تونى فى الساعة الحادية عشرة ، ثم أوت إلى غرفتها ،و كان هذا ما يتم تقريباً كل ليلة ، ولكن عندما استيقظت فى الصباح وجدت نفسها بمفردها وكان فراش تونى يدل على أنه لم يقض ليلته فيه ، فاتصلت بالجاراج على الفور ، وعندما رأت ان أحدا لايرد عليها بدأت تشعر بالقلق ، ثم اكتشفت زوجها .

أصغيت إليها، وأنا أراقبها بعناية دون أن يظهر على ذلك كان يبدو أنها لم تغادر الفراش منذ وقت طويل ولم أجد على يديها أو على ثوبها من الدم ما يمكن أن ينم عن كذبها، ومع ذلك فقدألحت على فكرة واحدة وهى ألا يمكن أن تكون قد أتت إلى الجاراج فى أى وقت من الليل ، وأن تكون قد ضربت زوجها على رأسه بآلة حادة .

لم ترق هذه الفكرة أبداً ، ولكنني رأيت من ناحية أخرى أن فتاة يمكن أن تكون اشتركت فى ارتكاب جريمة قتل ، واستطاعت أن تخفى جشعها بمهارة .. فتاة شابة فى مقتبل العمر ، أعياها الزواج برجل يكبرها سناً بكثير يمكنها أن تذهب بعيداً بخمسة وعشرين ألف دولار .

ودفن تونى صباح يوم الجمعة ، وكانت جنازته مهيبة سار فيها معظم أهالى المدينة ورافقت مارفى وجلست بجوارها فى الكنيسة ، وفى الوقت الذى ووري فيه التراب لم أتركها لحظة واحدة ، وكانت لا تبكى ولكن منظرها كان يشق على الجميع ، وكان وجهها شاحباً على الرغم من السمرة التى اكتسبتها من شمس الصيف ، وعيناها المنقطتان باللون الأخضر ضاع بريقهما .

وحبست نفسها فى بيتها بعد الفراغ من الجنازة على الفور ، ولم نرها من جديد فوق العوامة إلا بعد عشرة أيام ، وأبدت فى تعاملها مع الناس تحفظاً كبيراً ، وعلى الرغم من أنها إضطرت إلى الخروج من بيتها لمقتضيات الحياة التى لابد منها ، فإن أحداً لم يرها إلا بعد ظهر كل يوم على سطح عوامتها ، وكانت تستلقي فوقها وتعرض جسدها لأشعة الشمس وكانت ترتدى فى بعض الأحيان ثياب الغطس ، وتغطس تحتى قاع البحر وكان الصيادون والمعجبون الذين يغذون الآمال الكبار وهم يشاهدون هذه الأرملة الشابة يصطدمون بطباعها الباردة الغامضة وكان الرجلان الوحيدان اللذان يحظيان منها بقليل من التفاعل هما السمسار الذى باع لها الجاراج وأنا نفسي ، لأنها كانت تعتبرني صديقاً مخلصاً .

وكنا قد بدأنا الأسبوع الرابع من شهر أغسطس وكانت مارفى لا تظهر

كثيراً فوق عوامتها فى تلك الأيام الأخيرة ، ولكن الجو كان شديد السخونة فى ذلك اليوم ، فأخذت ثوب البحر ومضيت إلى البحيرة ، وإذ وصلت هناك بقيت مدة طويلة جالساً على الرمل أنظر إلى الماء المتلألئ وأنا أناقش أمراً فى قرارة نفسى ، وكانت مارفى مستلقية على صدرها على سطح العوامة تحت أشعة الشمس ، ونهضت أخيراً ، وأخذت زورق الخدمة ومضيت إليها وكانت جالسة وقد أحاطت ركبتيها بذراعيها ، وعندما لمست العوامة كانت تبتسم كانت هذه أول مرة أرى ابتسامة حقيقية على وجهها منذ موت تونى .

وربطت زورقى ، ووثبت إلى العوامة كانت مارفى جميلة فى ثوب البحر وكان من قطعتين ، وقسمات وانحناءات جسدها كانت فاتنة ، وبشرتها السمراء المدهونة بالزيت تتألق ، وكانت لا تزال تبتسم وهى تضغط على يدى فى سرعة قائلة :

– صباح الخير يا شارلى .

قلت مبهور الأنفاس قليلاً وأنا أبادلها ابتسامتها :

– حسناً ، هاأنت خرجت من قوقعتك أخيراً .

أجابت :

– من أجلك اجلس .

– أفضل أن أستحم أولا .

– سآتى معك .

ونهضت بحركة رشيقة ، وأحسست برغبة مجنونة فى أن أضمها بين ذراعى ولكننى تحولت عنها وغطسنا معاً فى الماء الدافئ .

وأخذنا نسبح بضع لحظات فى ظلام الأعماق ، وخيل لى أننى أرى ظلا فى القاع ، وعندما عدت إلى سطح البحر اصطدمنا معاً أنا ومارفى ، ولم يكن فى رأسى فى ذلك الوقت غير فكرة واحدة .

ورأتها فى عينى ، ولم تشعر بأى غضب لذلك ، ولكنها ابتعدت عنى وهى تضرب الماء بيديها كما لو كانت تلعب وراحت تسبح بسرعة .

وصعدت فوق العوامة وجلست على حافتها ، ووجهها يطفح سعادة وبشرا ، ومدت لى يدها تعاوننى على اللحاق بها ورفعت جسدى وبحركة سريعة جلست بجوارها ، وكانت تبدو مسلوبة اللب وقالت :

– لأول مرة يا شارلى ، منذ وقت طويل أحس أننى عدت كما كنت قبلا .

– مارفى ..

أدارت رأسها نحوى فى حدة وقد تلاشت ابتسامتها ، ثم بحثت عن أصابعى وضغطت عليها فى هدوء وهمست :

– أرجوك يا شارلى ، لا تقل شيئاً .. لست مستعدة لكى أسمعك .. بعد ثم ابتسمت فجأة من جديد وربتت على ذراعى فى ود ، ونهضت قائلة :

– ما قولك فى زجاجة من البيرة .

سرى إلى مرحها وقلت :

– ولكننى لا أستطيع الشراب فى مواعيد العمل الرسمية .

قالت وهى تتمدد تحت أشعة الشمس :

– أوه ،لا تكن سخيفاً هناك زجاجات كثيرة فى الثلاجة فافتح لنا زجاجتين فإننى لم أشرب بيرة منذ أسابيع .

لم يكن هناك ما يمنعنى من شرب هذه البيرة .. وتمددنا جنباً إلى جنب ، وأخذنا نحتسى المشروب المثلج فى جرعات صغيرة ، وعرفت مارفى عندئذ معرفة وثيقة ، وتبادلنا أخيراً شيئاً لا يستطيع أى شئ أن يؤثر فيه ، ولا حتى ذكرى زوجها الميت .

ثم فرغنا من البيرة وكانت الشمس الحارة قد جففت جسدى وخفت أن تؤثر حرارتها فى فالتفت إلى مارفى وقلت :

– ما رأيك فى أن نسبح ثانية .

أجابتنى والنوم يغالبها :

– كلا .. اذهب أنت وسأنتظرك هنا .

وغطست إلى أعماق البحر .. إلى أعماقه السحيقة .. ووجدت مشقة فى الصعود إلى السطح ، ورحت أعوم وأنا شبه واقف ، وازدادت ضربات قلبى ولكن لم يكن سبب ذلك العوم فحسب فقد رأيت مرة أخرى ذلك الظل .. الظل الغامض الذى ما كان يجب أن يكون موجوداً فى ذلك المكان وفى حرص التفت لكى أنظر إلى العوامة . .

كانت مارفى مستلقية على صدرها ، وقد دفنت وجهها فى يديها الملتويتين ، ولم تكن مهتمة بى ، ووددت لو أن أصعد إلى العوامة ، وأرتدى ثياب الغطس ، ولكننى كنت أعرف أننى سأثير شكوكها بعملى هذا ، فأخذت نفسا طويلاً بقدر ما استطعت ثم غطست إلى الأعماق مرة أخرى ، وبلغتها بأسرع ما يكون ، ورأيت الظل مرة أخرى ، ودرت حوله ، وهكذا اكتشفت سر تونى ومارفى سكالى .

كان الصندوق صغيراً ولكنه كان ثقيلاً من غير شك وشككت فى أن

سكالى هو الذى صنعه بنفسه .

وعدت إلى السطح مسرعاً ، وكان صدرى يكاد ينفجر، وأطرافى تؤلمنى ورحت أبحث عن الهواء ، وأنا أغالب إحساس الدوار الذى أخذ ينتابنى ، ثم نظرت ناحية العوامة والتقت عيناى بعينى مارفى ، وبدا لى كأن وجهها قُدَّ من حجر .

ذلك أنها فهمت .

وتعلقت بالعوامة دون أن أفارقها ببصرى .. هل ستنتهز فرصة وجودى فى الماء وتهجم على ؟ .. هل معها سلاح ..

ولم تتحرك وأنا أتسلق العوامة لم يكن معها سلاح ولم يسعنى إلا أن أحدق فى عينيها فقالت فى هدوء .

– وقع الأمر كما تظن تماما كان أحد الأبواب مهشما فكشف عن النقود وتكلم ليمسون بالتليفون من الموتيل ، عرض علينا صفقة .

قال إنه سيعطينا خمسةآلاف دولار ، وإنه لن ينطق بشئ على شرط أن يعيد تونى إليه النقود ، ومضى تونى فى وقت مبكر إلى الموتيل ، ولا أعلم كيف ولا أين قتله ، وكل ما أعرفه هو أنه اتصل بى تليفونياً.

وأخذنا سيارة ليمسون حتى سانت بول ، ثم عدنا هنا ، وأخفينا الجثة فى الصندوق الخلفى بإحدى السيارات الموجودة بالجاراج حتى فرغ تونى من صنع الصندوق ، ثم نقلنا الإثنين هنا أخيراً أثناء الليل ، وأنت قد رأيت الصندوق ، أما جثة ليمسون فمدفونة فى الجزيرة .

– وتونى ؟.

- كان حادثاً يا شارلى .. وأقسم لك على ذلك .. يجب أن تصدقنى .

ومع ذلك فلم أصدقها ، وسألتها :

- كم يوجد فى الصندوق ؟..

- المبلغ كله خمسة وعشرون ألف دولار .. كلها من فئة العشرين دولار وقد وضعها تونى فى أكياس من النايلون ، بكل كيس ألف دولار .

ماذا سيقع لى الآن يا شارلى ؟.. ماذا ستفعل بى ؟.. هلى تلقى القبض على ؟.

لم يكن الوقت وقت تفكير ، ولو أنني ترويت وفكرت فربما ما كنت لأفعل ما فعلت .

قلت :

- مارفى ، يمكننا أن نتزوج بعد ستة شهور ، وهذا الوقت يكفى لكى أغازلك علانية .

أقلقتها كلماتى ، ورأيتها تتوتر ، واتسعت عيناها شيئاً ما ثم ضاقتا من جديد ، وحدقت فى بعينين قاسيتين وكنت أعرف ما يدور فى رأسها ، وقلت

- ولكن على شرط .. أريد أن تعطينى ستة آلاف دولار الآن فوراً ، فهناك بيت أريد شراءه وسنقيم فيه معاً ..

قالت متلعثمة : ستة .

ثم سكتت معترفة بذنبها .

وحدثتها عندئذ عن البيت وعن النقود التى اقتصدتها ، وراحت تصغى

إلى فى اهتمام ، ولكن وجهها ظل جامد الأسارير ، وتساءلت هل تستطيع أن ترفض وأن تتحدانى ؟ ومهما يكن فهل كانت تعرف أننى لا أستطيع شيئاً ضدها .. لا اتهامها ولا القاءها فى السجن ؟ هل كانت تدرى أن باستطاعتها أن تفر بالنقود ، وأننى لن أستطيع الاهتداء إليها أبدا لكى أضعها أمام الرأى العام ..

وفجأة وبدون أن تنطق ارتدت ثياب الغطس وألقت بنفسها فى الماء وبقيت تحته مدة طويلة ، وصعدت أخيراً وتقدمت نحوى وألقت ستة أكياس من البلاستيك عند قدمى ، وساعدتها على تسلق العوامة ورفعت عنها أنبوبة الهواء ، ونفضت الماء عن شعرها ، ثم تقدمت ووقفت أمامى تنظر إلى وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة وقالت فى صوت منخفض :

– ألا تظن أنه يجب أن تقبل زوجتك المقبلة ؟.

كانت خطتى سهلة ، ففى خلال الثلاثة أسابيع التالية ظهرت معها فى كل مكان منعا للثرثرة ورويت قصة عمة لى ماتت فى لوس أنجلوس ، وسافرت إلى كاليفورنيا ، وقضيت فى لوس أنجلوس أسبوعاً لحضور الجنازة المزعومة ، ثم عدت ومعى ميراث صغير أى ستة آلاف دولار من فئة العشرين دولار ، وقلت إن عمتى من هؤلاء الأشخاص الذين لا يثقون فى البنوك ، ويحتفظون بأموالهم سائلة تحت يدهم ، وفتحت حساباً لى فى البنك أودعت فيه الستة آلاف دولار ، ثم سحبتها من جديد فى اليوم الذى اشتريت به البيت عن طريق نفس السمسار الذى باع جاراج تونى .. وملأنى الطرب وشعرت بأننى أكاد أطير من الفرح حتى ذلك اليوم الذى دخل فيه أحد مندوبى وزارة الخزانة اللذين أعرفهما مكتبى ، وكان يوم

أربعاء ، وكان يرافقه رجل غريب قدمه لى على أنه من رجال البوليس الفيدرالى وكانا يجران مارفى ، وكانت تبدو مذعورة ، وفهمت السبب عندئذ طلب مندوب الخزانة التسعة عشر ألف دولار وقال :

- كان برادستون قد باع شحنة من الأسلحة لعصابة فى فلوريدا لحساب ليمسون ، وقد ألقينا القبض على أكثر أفراد هذه العصابة .

وقد قبض برادستون ثمن هذه الشحنة نقداً ، حصل عليه أصحابه من سطو على أحد بنوك ميامى ، وعلى أثر هذا السطو نشر البنك أرقام الأوراق المالية ، وكلها من فئة العشرين دولار ، وقد انتقلت بعض هذه الأوراق منذ نحو خمسة عشر يوماً إلى أحد بنوك مدينة سانت بول ، أرسلها إليه بنك هذه المدينة ، وقد تذكر البنك أنك أودعت هذه الأوراق حسابك أخيراً ، لا فائدة من الإنكار أيها الشريف .

نظرت إلى مارفى ، كانت متوترة الأعصاب ترتعش على وشك الانفجار .

واستطرد المندوب يقول :

- ونحن نعرف كيف أن ليمسون جاء هنا وأنه التقى بك ، وعندما أتيت منذ بضعة أسابيع قلت إننا سنقوم ببعض التحريات ، وهذا ما فعلناه .. وبين الأماكن التى نتحرى فيها عندما نبحث عن أحد توجد الموتيلات والفنادق وأحد هذه الموتيلات فى المدينة تديره مسز هولمز ، وقد حدثتنا عن النزيل الذى اختفى فى ظروف غريبة ، وعن المكالمة التى تمت بينها وبينك ، وقد أخبرتنا أيضاً أنك كنت تعرف هذا النزيل .. واسمه ليمسون .

بدا كأن مارفى تريد أن تقول شيئاً .. وانفتح فمها ولكن لم يصدر منه صوت .

قال الرجل :

- كان لابد لنا أن ندعك تضع الحبل حول عنقك أيها الشريف ، ونحن نفترض الآن أنك اكتشفت أنت ومستر سكالى النقود المخبوءة فى السيارة المحطمة ، ولم يشر أى منكما إليها ثم جاء ليمسون وطالب بنقوده فاضطررتما إلى التخلص منه ، ثم كان الدور عليك أنت والفتاة فتخلصتما من الزوج .

صحت محتجاً :

- كلا ..

وهزت مارفى رأسها بدورها كانت جالسة متوترة معتدلة القامة وفجأة انكسر شئ فيها وانهارت وندت عن صدرها شهقة .

ولم أستطع أن أصدق أذنى ، فقد تمتمت :

- إنهما وجدا النقود .. هو وزوجى .. كانت فى السيارة ثم جاء ليمسون هنا فقتلاه ، ثم قتل شارلى تونى بعد ذلك ، قتله فى الجاراج بقضيب من الحديد ، والنقود فى قاع البحيرة ، ستجدونها هناك وستجدون جثة ليمسون مدفونة فى الجزيرة .

صرخت أقول إنها تكذب ، ولكننى كنت أعرف فى تلك اللحظة من منا الذى يتهمونه بالسرقة والقتل ، ومن الذى سيعتبرونه شريكاً .

كنت أعرف من سيدينونه ويمضون به إلى غرفة المحكوم عليهم بالإعدام ومن التى ستعيش حتى إذا كان ولابد لها أن تقضى بقية حياتها فى السجن .

ولم يسعنى إلا أن أمضى معهما .

جريمة أم

وصلت بعد فوات الأوان ، وقد عرفت ذلك من سيارات بوليس مدينة لوس أنجلوس السوداء والبيضاء التى تقف أمام البيت ، وبينما كنت أوقف سيارتى ، وقفت سيارة أخرى هبط منها داف بايك ، الرقيب بالبوليس الجنائى ، وكنا قد اشتركنا فى العمل معاً منذ بضع سنوات وكان ذلك قبل أن نختلف أنا وأولو الأمر على طريقة إجراء التحقيقات وغدوت الآن مخبراً سرياً .

ورآنى داف أهبط من السيارة فطلب من زميله الجديد ان ينتظره ، ثم اقترب منى لكى يتحدث إلى .

– صباح الخير ياستونبريكر ، لا تزعم أنك كنت تمر صدفة .

– كلا ، إننى أتيت من أجل العمل فإن عميلاً لى يهتم بالرجل الذى يقيم فى البيت الذى ستمضى إليه .

– أتعنى روبين فاسكيز ؟.

– هذا هو اسم الرجل .

- فى مقدور عميلك أن يتخلى عن اهتمامه به . فقد مات فاسكيز .

ومضى داف إلى الطرقة المودية إلى البيت الأبيض الجميل فسألته :

- هل هناك مانع من أن أرافقك ؟.

- هل يمكن أن تفيدنا ؟.

- وما ادرانى ؟.

وتبعت داف حتى المدخل وكان البيت صغيراً ونظيفاً كجميع البيوت التى تقع فى حى السيرنيو ، والناس الذين يعيشون فيها من المكسيكيين الأصليين ، ويفخرون بانتمائهم إلى المكسيك .

وكان هناك بداخل البيت بعض رجال البوليس ، وبعض المصورين والفنيين الذين ينتمون إلى إدارة الشخصية ويرفقتهم شاب ملحَق بمكتب قاضى التحقيق .

وكانت هناك أيضاً وبطبيعة الحال جثة .

فقد كان هناك رجل متهالك فوق مقعد من البلاستيك والمعدن ، فى وسط غرفة المعيشة ، وكان وجهه فى الأماكن التى يظهر منها اللحم ، تحت الدم المتجمد أزرق اللون ، وكان المقعد وسط بركة حمراء لوثت السجادة الرمادية وكان مساعد القاضى قد فرش بضع جرائد فوق السجادة لكى يستطيع أن يقترب من الجثة ، وكان الدم قد تسرب إلى بعض مواضعها .

قرأ داف بايك ، فى دفتر بسطه إليه أحد رجاله :

القتيل يدعى روبين فاسكيز ، فى السابعة والثلاثين من العمر ، يقيم فى هذا البيت ولا يزاول أى عمل ، وقد اكتشفت الجثة زوجته ليندا فاسكيز

وإحدى جاراتها ، وتدعى مدام نونا هيريرا ، وسبب الموت ..

ونظر الرقيب إلى مساعد قاضى التحقيق ، وكان يدور فى حرص حول الجريدة المبتلة ، فقال :

– نزيف ابتدائى ناتج عن عدة طعنات من خنجر وأكثر الطعنات التى بالوجه والصدر سطحية ، ولكن يمكنك أن ترى فى أعلا الذراع القطع الذى أحدثه الخنجر فى شريان الساعد .

قال داف :

– إنه نزف حتى الموت .

هو ذلك وقد استمر قلبه يدق حتى فرغ الدم من شرايينه فمات .

– وكم من الوقت يلزم لحدوث هذا ؟.

– ساعة وربما ساعتان ، فالموت فى مثل هذه الحالة لا يقع سريعاً كما يحدث عادة عند قطع شريان الفخذ .

ولم أشأ أن أنظر إلى الميت أكثر من ذلك ، ولهذا عبرت الغرفة وأنا أحرص على تجنب البركة الحمراء ، وألقيت نظرة إلى باب يفضى إلى غرفة النوم ، كانت هناك امرأة سوداء العينين جالسة على الفراش شاردة النظرات وأمامها إحدى نساء البوليس ، تعاونها على إحتساء قدح من القهوة .. وأدركت أنها الأرملة ، وكانت قد تجاوزت سن الجمال ببضع سنوات ، ولكن وجهها كان لا يزال يحتفظ بملامح الهندية ورقة الأسبانية وهما سمتان يكسبانها جمالاً مثيراً إلى وقت طويل .

وإنضم داف بايك إلى وقال :

– هل لك أن تذكر لى رأيك في كل هذا ؟.

لزمت الصمت دقيقة أو دقيقتين ريثما أتخير المعلومات التى أرى أن أقدمها له ، كان يجب أن أرد على أسئلة داف طبعاً ، ولكن فى حدود الثقة التى يولينى إياها العملاء الذين يلجأون إلى – ولولا اهتمامى بهذه النقطة لما أصبت أى نجاح فى عملى ، فإن الناس يحرصون عادة على الاحتفاظ بأسرارهم .

قبل ذلك بساعتين جاءنى ذلك الرجل المسن إلى مكتبى ، ويقع فى حى الأعمال بلوس أنجلوس ، وجلس أمامى فى هدوء ووقار بينما رحنا نناقش مسألة الأتعاب -وأتعابى ليست مرتفعة ولكننى لا أعمل مقابل لاشئ وكان الرجل المسن يدعى أنطونيو فاسكيز ، وقد أخبرنى بسبب قدومه قائلاً :

– إننى أتيتك بسبب ابنى إنه وقع فى متاعب مع المافيا المكسيكية .

سألته : – أي نوع من المتاعب ،

اعتدل الرجل العجوز فى جلسته ، وألقى نظرة من خلال النافذة وقال فى مشقة :

– إن ابنى مرشد -وقد أرشد البوليس إلى بعض المجرمين فى سوليداد نظير إطلاق سراحه ، وهو طليق الآن ، ولكن هؤلاء الأوغاد يعرفون ما فعل وقد أصدروا أوامرهم بمجازاته .

وكنت قد عرفت كيف تجازى المافيا المكسيكية الخائنين ، وهم يسمون طريقتهم هذه بصيد الحمام ، والضحايا الذين يموتون محظوظون حقاً .

وسألته على العموم :

– هل تريد أن أخطر البوليس ؟.

تألقت عيناه بالازدراء وقال :

– ولماذا ؟ ما هو إلا مكسيكى بالنسبة لهم ، ولا يضرهم إذا نقص المكسيكيون واحداً أو إذا زادوا واحدا ، ولكنه بالنسبة لى ابنى الوحيد .

– وما هى نواياك ؟.

– أن تخطره بالخطر الذى يتهدده ، إننى رجل مسن وضعيف وسوف يسخر من مخاوفي ، ولكنه يعرف اسم ستونبريكر ، وسوف يصغى إليك.

لم أكن واثقاً من ذلك ، ولكننى لم أناقشه .

ونهض الرجل العجوز وصقل بنطلونه ، ولم يكن متجانساً مع جاكتته ثم غادر المكتب .

وعندما ذهبت بسيارتى إلى بيت روبين فاسكين لم يكن فى ذهنى غير برنامج مبهم ، هو أن أحمله على مغادرة المدينة بعض الوقت ولكن ، حين رأيت سيارات البوليس أدركت أنه لم يعد هناك أية أهمية لهذا فقد وصلت بعد فوات الأوان .

ووقفت الآن بجوار داف بايك ، أمام جثة روبن التى استحال لونها إلى اللون الأزرق ، وخطر لى أننى مازلت أستطيع اكتساب أتعابى بالقبض على قاتليه .

وقال داف فى إصرار :

حسناً ياستونبريكر .. ما الذى تعرفه ؟.

رويت له قصة المافيا المكسيكية ، ولم أخف عنه إلا اسم عميلى ، فإن

البوليس سوف يتصل به بعد قليل ، ودون داف ، بعض الملاحظات وهو يصغى إلى وسألته :

- هل تعرف سوابق روين ؟.

- إنه كان وغدا .. اعتداءات ومخدرات ، وسوء معاملة للأطفال وما إلى ذلك .. وإذا أردت الحق فإن المافيا المكسيكية قدمت خدمة جليلة للمدينة ..

عادت كلمات أنطونيو فاسكيز إلى ذهنى ، فسألته :

- هل تنوى أن تستمر فى التحقيق ؟.

توترت عضلات وجهه لحظة ثم قال فى لهجة جافة :

- سنفعل تماماً كما نفعل إزاء كل جريمة قتل .

كان داف بايك شرطياً شهماً ، وكان يتكلم بكل جد ، وليس الذنب ذنبه إذ كانت إدارة البوليس لاتولى بعض القضايا ما يكفى من الوقت كغيرها .

سألته :

- هل ستتحدث إلى الأرملة الان ؟.

- نعم ، ولن استبقيك أكثر من هذا إذا كان لديك ما يشغلك .

قلت :

- لاتغضب قليل من العون من نحوى قد يفيد ، ولن أكلفك شيئاً .

زمجر قائلاً :

- حسناً ابق هنا إذن ، ولكن حاول ألا تظهر كثيراً فإنك بجسمك هذا ووجهك الغريب قد تخيف الشهود .

وكان على حق فى هذه النقطة ، ولهذا مضيت واعتمدت بظهرى على الجدار ، فى حين طلب داف من ليندا أن تروى له ما حدث .

قالت :

– هما اثنان ، جاءا فيما بين الساعة الخامسة والسادسة ، بينما كنت أقوم بإعداد طعام العشاء ، وكان أحدهما يحمل سكيناً ، والآخر مسدساً وأراد روبن أن يتفاوض ، ولكن صاحب المسدس ضربه به فلم يقل شيئاً بعد ذلك ، وقيد الرجلان روبن إلى مقعد ثم أوثقا يدى وقدمى ، ووضعا شريطاً لاصقاً فوق فمى ، وحبسانى فى غرفة الحمام .

كانت عينا المرأة جافتين ، ولم يكن فى صوتها أى انفعال وهى تروى قصتها واسترسلت تقول :

– وسمعت روبن يصرخ ، ولكن فى صوت خافت كما لو كانا قد وضعا فوق فمه شريطاً لاصقاً هو الآخر ، وبعد لحظة فتح الباب الأمامى ، ثم أغلق من جديد ، ولم أعد أسمع شيئاً فتحاملت على ركبتى واستطعت أن أنتقل من مكانى وأنا موثقة القدمين واليدين وبحثت فى كل مكان من غرفة الحمام عن شئ حاد ، ووجدت مقصاً استخدمته فى قطع قيودى أخيراً ، ورفعت الشريط اللاصق عن فمى وناديت روبن ولكنه لم يرد وكان باب غرفة الحمام موصداً من الخارج فوثبت من نافذتها ، وكانت جارتى ، مدام هيريرا واقفة خارج بيتها ، فرأتنى وصحبتنى إلى الباب الأمامى ، ودخلنا ووجدنا .. ماتراه الآن وأسرعت إلى روبن لعلنى أستطيع مساعدته ، كان يبدو فى أسوأ حال ، ومع ذلك فقد أسرعت إلى الحمام لكى أبحث عن بعض الضمادات ، ولكنه كان قد فارق الحياة أثناء ذلك .

وطلب داف منها أن تصف له الرجلين . فراحت تصفهما كما يفعل جميع الناس فى مثل هذه الظروف كانا مكسيكيين معتدلى القامة كل منهما بدين الجسم ، لا يميزه شئ خاص ، وليس فى ثيابهما أى شئ عادى ، وخرجت من غرفة النوم فى حين راح داف يحاول أن يعرف منها المزيد .

كانت بعض آثار الأقدام ممتدة من روين فاسكيز حتى غرفة الحمام حيث جرت ليندا لكى تبحث عن الضمادات التى لم يعد لها أى نفع ، وخرجت من الباب ودرت بالبيت حتى بلغت الفناء الداخلى ، ورأيت على العشب القصير ، تحت نافذة الحمام أثرا لقدمين ملوثين بالأحمر هما قدما ليندا الصغيرتان .

وفى الناحية الأخرى من البيت ،كان زميل داف يستجوب امرأة ضخمة متينة الجسم ، ذات حاجبين كثيفين واقتربت بما فيه لكى أعرف أنها تدعى مدام هيريرا ، وأنها جارة ليندا ، واتفقت قصتها عن اكتشاف الجثة مع قصة ليندا فاسكيز ، وعندما رأت أننى أصغى ، قطبت جبينها فرددت عليها بابتسامتى الرقيقة التى تخيف الكلاب والأطفال ، وازداد عبوسها فابتعدت على الفور لكى يتمكن الشرطى من الاستمرار فى استجوابها .

ورحت أتمشى إلى أن فرغ داف بايك من حديثه مع الأرملة ، ثم خرجت معه إلى الشارع فى حين أخذوا ينقلون الجثة .

وسألته :

– هل وجدت شيئاً ؟.

– طبعاً إن الوصف ينطبق على نصف الأهالى ، وسأقبض عليهم فوراً..

قلت :

– آه أرجو لك التوفيق إذن .

– وأنت ؟.. ماذا ستفعل ؟.

– سأبقى فى المكان قليلاً ، وسأتحدث مع السيدة .

– ستونبريكر .. ألا تخفى عنى شيئاً ؟.

– أقسم لك بشرفى أنك تعرف بقدر ما أعرف أنا .

حدق داف فى لحظة ثم هز رأسه وصعد إلى سيارته ، وانطلق بها .

وما أن أختفى رجال البوليس ، حتى خرجت مدام هيريرا من الباب المجاور ، فى خطوات ثقيلة ، ووقفت بداخل غرفة المعيشة كما لو كانت تريد أن تضفى حمايتها على الأرملة ، واضطررت أن أتحدث إلى هذه الأخيرة من فوق كتفيها .

– مدام فاسكيز .. هل رأى أحد آخر هذين الرجلين ؟.

– كلا ، لم يرهما أحد غيرى ، فإننى أقيم وحدى منذ أن اضطررت إلى إرسال ابنى يقيم مع أختى ، ولكنه سيستطيع أن يعود إلى البيت الان .

– ألم يرهما أحد من الجيران ؟.

– لقد استجوب البوليس جميع الأهالى بالشارع ، لم يرهما أحد .

وتكلمت مدام هيريرا عندئذ ، وكانت قد أصبحت تأنس إلى قليلاً ، منذ أن عرفت أننى لست من رجال البوليس قالت :

– لعل أولئك الصبية رأوا شيئاً .

– أية صبية ؟.

– هؤلاء المراهقون الذين يتسكعون هنا ، كانوا فى الناحية الأخرى من

الشارع ومعهم أدوات الطلاء ، لعلهم رأوا شيئاً .

ودّعت المرأتين واجتزت الشارع ، كانت الشمس قد بدأت تغيب وأوشك النهار أن يختفى ، وعلى جدار الجاراج المقابل كانت هناك بعض النقوش المخطوطة بالطلاء الأحمر التى يتميز بها جيل اليوم من المراهقين ، وكان هناك نقش قديم عبارة عن هذه الحروف ف . ن . ١ , ١٣ , و . ف . تشير إلى كلمة فاريو ومعناها " حى " وحرفا ن . ١ , يشيران إلى نويفا استرادا ، أما الرقم ١٣ فيشير إلى الحرف الثالث عشر من الحروف الأبجدية وهو حرف الميم ، ومعنى العبارة كلها هو " حى نويفا استرادا " ، أما الميم فإشارة إلى أن فتية الحى يدخنون الماريجوانا .

وركبت سيارتى ومضيت بها إلى مشرب بروفتو ، بشارع سان بنيتو حيث كنت أعرف أن فتية الحى يجتمعون هناك ، واعترض إثنان من المراهقين طريقى فى عداء ظاهر وسألنى أحدهما :

– ماذا تريد أيها الجاسوس ؟.

– أريد أن أتحدث إلى روجو .

– هل أنت شرطى : .

– كلا إن اسمى ستونبريكر .

وبينما كان المراهقان يتشاوران ، خرج فتى من المشرب ، بوجهه نمش وله شعر أشقر ، ما كاد يرانى حتى أسرع إلى مبتسماً وقال :

– ستونبريكر ؟.. ما الخبر يا صديقى ؟.

وعندما رأى المراهقان أننى لست خطرا عليهم حولا اهتمامهما إلى شئ

آخر ، وعاد روجو يسألنى قائلاً :

- أية خدمة أستطيع أن أؤديها لك أيها الصديق .

كنت قد تمكنت من إنقاذ أخته من موقف حرج قبل ذلك بعدة شهور ، ولم يكن من الذين ينسون الجميل .. وسألته قائلاً :

- ألم يكن بعض أصدقائك يقومون بكتابة بعض الرموز على أحد جدران شارع مالابار ، فيما بين الخامسة والسادسة من مساء اليوم ؟.

- ربما ، ولكن لماذا تسأل ؟.

- هدئ من روعك يا بريد ، إننى لا أقوم بعملية تطهير ، ولكن ربما رأى أصدقاؤك شقيين أثناء دخولهما بيتا على الرصيف المقابل إذا كان هذا قد حدث فإننى أريد أن أعرف من هما .

- سأذهب للاستطلاع .

وابتعد بضعة أمتار وتبادل الحديث مع بعض أصدقائه ، وكانوا يتكلمون باللغة الأسبانية العامية التى يتكلمها الأوباش ، وعاد بعد قليل وقال :

- إنهم رأوا الرجلين فعلاً ولكن لماذا تبحث عنهما ياستونبريكر ؟.

- إنهما أوثقا رجلا إلى أحد المقاعد ومزقاه بالسكين بعد ظهر اليوم .

- أهو صديق لك ؟.

- كلا وإنما عميل .

- من الأوفق أن تتناسى أمرهما إذن ، فإنهما شديدا الخطر .

ولكننى أهتم بالأشخاص الشديدى الخطر ، من هما ياروجر ؟.

– حسناً هذا شأنك أنت على كل حال ، إنهما الأخوان جارزا .. جو واجنا شيو جارزا .. المافيا الأسبانية .. لن تسرهما زيارتك .

– وأين أجدهما ؟.

– فى باروبدوزو .. هل تعرفه ؟.

– نعم ، إلى الملتقى يا روجو .

– بل وداعاً .

وكان يبدو مهموماً .

– ولو أننى كنت مواطناً طيباً لنقلت المعلومة إلى رجال البوليس ، ولبقيت منزوياً لا يعلم أحد عنى شيئاً ، ولكننى كنت أعرف ماسوف يقع عندئذ ، فإن رجال البوليس سيستجوبون روجو ، فينكر كل شئ ، ويبقى الأخوان جارزا فى أمان ، وأفقد أنا صديقاً ولهذا لم أتكلم مع داف بايك فى التليفون .

ويقع بار رويدوزو فى مانجو ، على مقربة من شارع سوتو ، وبه صالة للعب البلياردو ، وتركت سيارتى فى الموقف أمام البار ، ودخلت وكان للمكان رائحة المراحيض .

وقلت لصاحب البار :

– إننى أبحث عن الأخوين جارزا .

أسرع الرجل يقول :

– إننى لم أرهما .

ولكن عينيه كذبتاه ، لأنه ألقى نظرة سريعة إلى البلياردو ، فى آخر البار

حيث توقف اللعب عند دخولى ، وأتيت بحركة إلى الخلف ، فعاد الرجلان إلى اللعب على الفور كان أحدهما نحيفاً كقطعة من الخيط ، ويلبس چاكتة زرقاء ونظارة طيار ، وأما الآخر فكان قصيرا وبدينا كالبرميل .

وانحنيت ، وأمسكت بكرة البلياردو فى نفس اللحظة التى سدد فيها ذو الچاكيت الزرقاء مضربه وقلت :

- إننى أبحث عن الأخوين جارزا ، فهل ترانى أتحدث اليهما ؟.

وأنا لست بطيئاً فى العادة ، فإن البطء فى مهنتى هذه يمكن أن يكلفنى حياتى ، ومع ذلك فقد أبطأت هذه المرة أكثر من المعتاد ، عندما صاح النحيف :

- اضربه ياجو .

وما كدت استدير حتى تلقيت ضربه شديدة على أم رأسى أفقدتنى الرشد .

عندما عدت إلى نفسى كانت هناك قدم فوق وجهى ، والألم الشديد يسرى فى صدغى وتتابع دقاته سريعة مع دقات قلبى ، وعندما استطعت أن أتغلب على ألمي رأيت أننى ملقى فى أرضية مؤخرة سيارة وإن السيارة سيارتى أنا بالذات وقد عرفت ذلك من صوتها المميز .

وفتحت عينى ، ونظرت إلى أعلا ، ورأيت أن القدم الذى فوق وجهى لجو البدين ، وكان معنى هذا أن اجناشيو هو الذى كان يقود ، وعرفت من الفراغ الذى تحت ذراعى أنهما أخذا مسدسى ، ولاريب أن جو كان يصوبه الآن نحوى .

واهتزت العربة عندما صعد اجناشيو بها فوق افريز ، ودلتني طبيعة الأرض على أننا تركنا الطريق الممهدة .

وتوقفت العربة وهي تهتز بشدة ، وداست قدم جو على رأسي التي تؤلمني ، وضغطت على فكي حتى لا أصرخ .

وجاء صوت اجناشيو من المقعد الأمامي للسيارة قائلاً :

– هذا هو أنسب مكان .

وخرج الاثنان من السيارة معاً ، وأخذ يجراني من قدمي ليخرجاني منها وكان من الواضح أن الخوف استولى عليهما وأنهما ينويان قتلي ويريدان استخدام سيارتي بعد ذلك للفرار ، وإلا لقتلاني في البار .

ومن غير أن أبدى ما ينم على أنني عدت إلى الرشد تثاقلت ، وعندما أخرجا نصف جسدى خارج الباب دبرت أمرى بحيث شبكت كم سترتي في الرافعة التي تستخدم لنقل المقعد ، وقام جو جارزا بمحاولتين ، عبثا ، ثم أطلق سبة بالأسبانية ، وانحنى داخل العربة لكي يحرر كمي ، وعندما أمسك بالكم رفعت يدى الطليقة وأمسكته من يده ودفعتها فوق كتفي بكل ما أوتيت من قوة ، وابتسمت في قرارة نفسي عندما سمعت عظمة كوعه تطقطق ويلتوى ذراعه إلى الخلف .

وصرخ جو جارزا لفرط الألم ، ووقع شئ ثقيل من يده الأخرى على ساقي ، واندفعت خارج العربة ، ورحت وأنا على أربع ، أتحسس أرضيتها في الظلام ، ولم البث أن وضعت يدى على مسدسي ، وانقلبت على ظهرى ورأيت جو جارزا ، وقد أمسك سكينا في يده السليمة واندفع نحوى ، ومن خلفه اجناشيو وهو يصرخ فيه أن يخلي له الطريق .

ولم أجد وقتا للاختيار فصوبت الجزء الأكبر من جو جارزا الذى يهجم على وأطلقت النار ، وزمجر جو عندما أصابته الرصاصة فى صدره وتجاوزنى ببضع خطوات ثقيلة قبل أن ينهار فوق العشب .

ودوى شئ خلفى ، فى غضب ، فتحولت لكى أرى اجناشيو جارزا يطلق الرصاص على ، كان يمسك فى يده مسدساً صغيراً ، إلا أنه كان يمكن أن يصيب مقتلاً ، وكان هذا آخر خاطر مر برأسى قبل أن يصيبنى اجناشيو ووأقع وفى فمى طعم الدم .

وإذا نحن صدقنا الجمهور تكون رأسى من الجرانيت ، وهذا غير صحيح لأنه أصيبت فى نفس الليلة بضربة ثقيلة أحدثت فيها ورما كبيراً ، ثم أصابتها رصاصة عيار ، وكانت الأضرار الخارجية ظاهرة ، أما من الداخل فقد كان عقلى لايزال سليماً نشطاً .

وبعد لحظة استنتجت إننى لم أمت ،لأن الموتى لا يحسون بالألم ، وفى بطء شديد رفعت رأسى عن العشب الرطب ، ورددت البصر حولى فلم أر أحداً .. لم يكن هناك غير سيارتى ، وكانت واقفة ، وأحد أبوابها مفتوح .

وحركت جسدى شيئاً فشيئاً حتى وقفت أخيراً وغامت الدنيا بى ، ودارت ذات اليمين وذات الشمال ، ثم استقرت أخيراً ، وعرفت أين أنا كنت فى منتزه هازارد بجوار شارع سوتو ، ومشيت إلى سيارتى فى بطء وركبتها ورأيت أننى لم أكن وحدى .

كان جو جارزا موجودا فوق المقعد الذى بجوار مقعد السائق ، وكان فى صدره ثقب وعلى وجهه تعبير خال من الحياة ، وفتحت الباب من ناحيته ودفعت به إلى الخارج .

وعندما أدرت مفتاح الحركة لم يقع شئ - وكان هذا يحدث ثلاث مرات من أربع تقريباً ، فدسست يدى تحت لوحة القيادة وهززت الأسلاك لكى أعيد التيار ، ولم يكن اجناشيو يعرف ذلك ، وعندما لم يستطع قيادة السيارة ، بعد أن أطلق على النار تملكه الفزع ، وهرب تاركا أخاه ، وما كان هذا الأخير ليحقد عليه لهذا السبب .

وخرجت من المنتزه ، ومضيت إلى شارع سوتو فى طريقى إلى الجنوب كانت هناك رسالة تحاول أن تقول إن هناك شيئاً عاجلاً لابد منه ولكن رأسى لم تستطع أن تسجل أى شئ وراحت أنوار الفوانيس تخبو ثم تزيد أمام عينى قبل أن تنطفئ تماما فى نفس الوقت الذى انعطفت فيه إلي شارع مألوف ، وتجاوزت بيتين ثم وقفت .

ولاريب أننى ترنحت وأنا فى طريقى إلى البيت ، ولكننى لا أذكر شيئاً ، وكل ما أذكره بعد ذلك هو سقف غرفة النوم ببيت فاسكيز ، الذى رحت أنظر إليه ، ووجه ليندا فاسكيز المذعور وهو منحن فوقى ، فى حين راح شئ بارد يثقل على وجهى الجريح .

قالت :

- هل تسمعنى يا ستونبريكر ؟.. هل استيقظت ؟.

زمجرت :

- نعم اطلبى البوليس .

- سوف أفعل حالاً .. ولكن هل أنت أحسن ؟.

- لا أدرى اطلبى البوليس .

ابتعدت عنى ، تاركة المنشفة المبتلة فوق عينى وجبينى ، ودق حذاؤها العالى على الأرض العارية لغرفة المعيشة ، ولاريب أن بعضهم رفع السجادة الملوثة بالدم ، وسمعتها ترفع السماعة وتدير القرص .. وعندما بدأت أعود إلى أرض الأحلام انفتح الباب الأمامى للبيت فى عنف ، وراحت أقدام أخرى تدق على أرضية الغرفة .

وكان الصوت الناتج أكثر جدة ، وأشد انفعالا عما سمعته أخر مرة فى المنتزة :

- إننى أنذرتك بما سوف يقع لك إن أنت تكلمت مع البوليس .. سأجعلك تندمين الآن قبل أن أقتلك .

قالت ليندا فاسكيز متوسلة :

- كلا لا تفعل هذا ، إننى لم أقل شيئاً إننى قلت لهم إننى لا أتذكر أوصافكما .

- اصمتى قلت ذلك لستونبريكر ، وقد مات أخى الآن كان يجب أن أدع جو يقتلك أنت أيضاً بعد أن تخلصنا من زوجك ، ولكننى كنت كريماً جداً وقلت لجو يكفى أن تقيدها وأن تمضى بها إلى غرفة الحمام إنها لن تتكلم .

راحت المرأة تطلق صرخات نائحة .

وعندما رفعت المنشفة من فوق جبينى ، أحرق الضوء عينى ، وأخرجت ساقى من الفراش ، وبقيت جالساً لحظة وأنا أعد من واحد إلى خمسة وأنا أجمع قواى لكى أقف .

ومن غرفة المعيشة سمعت صوت لكمة عنيفة فوق اللحم والعظام ، ووقع

جسد فوق الأرض ، وراحت ليندا فاسكيز تتوسل في صوت مذعور :

- أوه ، كلا ، أرجوك ، لا تفعل هذا ، أرجوك .. كلا إننى لم أقل شيئاً لأى أحد ، أقسم لك على هذا .

وأخذت مسدسى فى يدى ونهضت ، كان باب غرفة النوم موارباً نحو خمسة عشر سنتيمترا ، وتقدمت وأنا أترنح ودفعت الباب بقبضة يدى ورأيت اجناشيو يصوب مسدسه نحو المرأة التى تكومت فوق الأرض العارية .

وعندما رأى اجناشيو وجهى البشع الجريح فغـر فمه مشدوها ولكن الحقد لم يلبث أن حل محل الدهشة وأدار مسدسه نحوى ، وقبل أن يضغط على الزناد كنت قد أطلقت النار فى فمه .

وأتممت المكالمة التليفونية التى كانت ليندا قد بدأتها مع البوليس وانتظرنا قدومه فى المطبخ .

قلت :

- أريد أن أسألك شيئاً قبل أن يأتى البوليس .

- قل كانت هادئة الآن ، وعلى وجهها علامة حمراء ، فى الموضع الذى لكمها اجناشيو فيه .

- هل كان زوجك قد مات عندما دخلت ونظرت إليه فى المرة الأولى؟.

- إنك سمعت قصتى للبوليس ، وقصة مدام هيريرا .

- بل أعنى عندما دخلت وحدك يا ليندا .

فتحت فمها لكى تنكر ، ولكنها لم تلبث أن غيرت رأيها وتكومت فى

مقعدها وقالت :

– لا أدرى كان لا يزال ينزف قليلاً ولعله كان على قيد الحياة ، وربما كان في مقدورى أن أسعفه .

– ولكنك لم تحاولى ذلك .

– كلا ..

– لماذا .

– هل ترى هذه الصورة التى فوق التليفزيون ياستونبريكر ؟.

نظرت عبر الباب إلى الصورة الموضوعة فوق التليفزيون بغرفة المعيشة وكانت لصبى فى الرابعة من عمره ، أسمر العينين .

قالت :

– هذا هو ابنى مانى ، وقد مات أبوه بعد التقاط هذه الصورة بشهر ، وبعد سنة تزوجت روبن فاسكيز ، ومانى فى هذه الصورة يبدو بأصابع يده كلها ، أما الآن فإن يده اليمنى ليس بها غير ثلاثة أصابع ، لأن روبن غضب ذات يوم ، كان مانى يبكى فيه ، وأمسك بيده فوق نار الموقد ، وكنت أرجو أن يكون روبن قد تغير بعد خروجه من السجن ، فقد سألته عندئذ إذا كنت أستطيع أن أتى بابنى لكى يقيم معنا ، فقال إننى إذا فعلت ذلك فسوف يحرق يده الأخرى .

سألتها :

– وماذا حدث بعد ظهر اليوم إذن ؟.

- كما قلت لك ، قطعت قيودي وخرجت من نافذة غرفة الحمام ، ولم يرني أحد ومضيت إلى الباب فوجدت روين متهالكا ينزف دمه ، وإذا كان لم يمت فقد كان وشيكاً أن يموت ، وعدت إلى غرفة الحمام ورحت أنظر من النافذة إلى أن خرجت مدام هيريرا ناديتها ، وتسلقت من النافذة وخرجت كما رويت لرجال البوليس ، ومضينا معاً إلى الباب العمومي ، وفي هذه المرة لم يكن هناك أي شئ ، فقد مات روين ، وأسرعت إلى غرفة الحمام وتظاهرت بأنني أدير المفتاح في القفل ، ثم دخلت لكي آتي بالضمادات .

وبقيت لحظة واحدة وهي تطرق بعينيها إلى الحصيرة ثم نظرت إلى قائلة :

- كيف عرفت ذلك ياسترنيبريكر ؟.. كيف عرفت أني عندما دخلت مع مدام هيريرا ، لم تكن المرة الأولى .

- إنك تنسقين بيتك جيداً ياليندا ، وكان في مقدورك أن تجدي المقص بأسرع مما ذكرت للبوليس من ناحية أخرى ، كانت هناك آثار لقدميك تحت نافذة غرفة الحمام .

- ولكنني حرصت على أن أضع قدمي في نفس المكان في المرة الثانية..

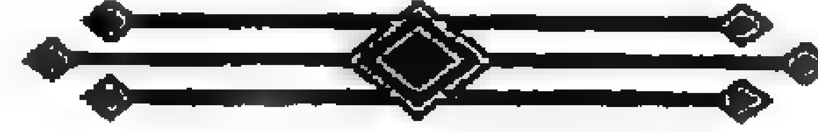
- ولكنك نسيت أن تنظفي حذائك ، كان العشب ملوثا بالدم حيث وضعت قدميك ، ومعنى هذا أنك في غرفة المعيشة .

- ماذا ستقول للبوليس ؟.

- الحقيقة ، هي إن جو واجناشيو جارزا هما اللذان قتلا زوجك ، وماذا

- ستقولين أنت لهم ؟.

نظرت إلى لحظة طويلة بعينيها السوداوين المستغلقتين وطرق رجال البوليس الباب العمومى فى هذه اللحظة ، فمضت لكى تفتح لهم ..



مسرح العرائس

أحببتها عندما رأيتها لأول مرة ، ولكنني رأيت المتاعب في نفس الوقت ،
بعد أن يقضي المرء سنوات محاولا تجنبها يكتسب حاسة سادسة تجعله
ستبينها على الفور ، أعني المتاعب ولعل ذلك لأنها كانت جميلة ، والفتاة
لجميلة تثير المتاعب كل تسع مرات من عشر ، أو ربما لأنها كانت لا تنفك
نظر حولها كما لو كانت تبحث عن شئ أو عن شخص .

كان ذلك في أفينيدا دي سانتوس ، في أول ليلة من مهرجان النوفيللو ،
لم أفهم أبداً لماذا يدعون هذا المهرجان باسم مهرجان " الثور الصغير "،
على الرغم من أنني قضيت في الجزيرة أربع سنوات ، كان احتفالاً وثنياً
بلاشك ، ولا ريب أن له معنى خاصاً لا يفهمه إلا المواطنون ـ كل ما عرفته
هو أن الجميع كانوا يحتفلون به ، لا سيما الآنسات الجميلات ، ومنظرهن
يروق لي كثيراً .

ورأيتها فجأة وسط كل هذا الحشد من الناس .. كانت ترتدي تاييرا
أبيض كان ظاهرا بوضوح بين الثياب الحمراء الصارخة والسوداء
والصفراء .. يدفعها الناس بمناكبهم هنا وهناك كزورق صغير تتقاذفه

أمواج العاصفة ، ولكنها لم تكن سنيوريتا ، وإنما كانت من إنتاج الولايات المتحدة .. مواطنة أمريكية مثلى .

وخطر لى أن من المروءة والشهامة أن أخف إلى نجدتها ، فشققت طريقى إليها بشق النفس ، وأصابنى فى سبيل ذلك ما أصابنى .. ولم تكن مسرعة فاستطعت اللحاق بها وصحت وأنا أمسكها من مرفقها :

- هالوا أيتها السيدة الأمريكية !.

ولا ريب أنها حسبت أننى أسعى وراء حقيبتها ونقودها لأنها تخلصت من قبضتى فى قوة واستدارت إلى .. ولكن يبدو أن وجهى الأمريكى نم عن أصالتى ، لأنها وقفت تنظر إلى فى صمت ..

وخاطبتها قائلاً :

يبدو لى أنك بحاجة إلى رفيق فهل أستطيع مرافقتك إلى مكان ما ؟.

أجابت :

- ولكننى لست ذاهبة إلى مكان ما .

- دعينى أنقذك من هذا الحشد إذن .

وبدا أن ذلك قد راق لها لأنها تركتنى هذه المرة أمسك ذلك المرفق الجميل الذى انتزعته منى قبل ذلك بكل عنف ، وتقدمتها وتلقيت ما لقيت من جزاء !.

وبعد نضال استمر نحو عشر دقائق بلغت حيث أريد ، وكان مشرب لاكازا دى بريوزا ، هادئاً عادة فى مثل هذه الساعة أثناء المهرجان ..

وأقبلت أسألها :

– ما رأيك في أن نجلس ونتناول مرطباً ومشرب لاكازا دي بريوزا . صغير لا يتسع أكثر من أربعين من الرواد ، ويضاء بالشموع ، مشروباته لذيذة وجيدة وجدرانه تعلوها الزخارف والنقوش الجميلة ويشرف على خدمته ثلاثة رجال يتكلمون الإنجليزية .

وطلبت كأسين من الروم المثلج ، بعد أن حصلت على موافقتها طبعاً ، ثم قدمت لها نفسي قائلاً :

– اسمي بيت لانسنج .

أجابتني في شرود :

– وأنا اليزا مارتيلون .

قلت :

– هذا اسم غريب .. ومع ذلك فأنت أمريكية ؟.

– نعم .

ولم يبد عليها أنها راغبة في الحديث .. وكانت لا تفتأ تلقي النظر حولها كما كانت تفعل في الشارع ، باحثة عن شئ أو عن شخص ..

وكانت فرصة لكي أتفرس فيها عن كثب ، ورأيت عندئذ أنها جميلة حقا .. كانت شقراء ، ولكن ليس بذلك اللون الأصفر البراق ، وإنما بلون رقيق أشبه بلون العسل .. وكان شعرها قصيراً وعيناها خضراوين ، وأنفها أرستقراطياً ، وشفتاها لاهما بالرقيقتين جداً ولا بالمكتنزتين جداً ، وبشرتها جميلة ملوحة .

وبعد أن جئ لنا بما طلبت لم أستطع إخفاء ، فضولي أكثر من ذلك

فسألتها :

– هل تنتظرين أحداً .

– ليس تماماً .

وكفت عن النظر حولها .. ولكنها لم تولنى أى إهتمام مع ذلك ، وراحت تحملق فى كأسها فقلت :

– إننى أعرف البلد معرفة لا بأس بها ، وقد أستطيع مساعدتك ، ولسبب لا أدريه أحدثت كلماتى هذه أثرها السريع ، فسألتنى على الفور:

– هل تعرف شيلا رامى ؟.

وسرنى أنها تبحث عن امرأة لا عن رجل وقلت :

– رامى ؟..

يخيل لى أ ننى أعرف هذا الاسم ، ولكننى لست واثقاً .

أسرعت تقول :

– ولكنك مقيم هنا ، أعنى أنك من سكان الجزيرة ؟.

أجبت :

– أظن أنه يمكن القول بأننى أقيم هنا فإننى هنا منذ أربع سنوات .

– كنت هنا إذن فى مثل هذا الوقت من السنة الماضية ؟.

– طبعاً .

– حسناً .. كانت شيلا رامى هنا هى الأخرى منذ سنة بالتمام .. أعرف ذلك لأنها أرسلت إلى بطاقة بريدية حدثتنى فيها عن المهرجان .

وانتظرت بقية تفسيراتها ولكنها لزمت الصمت وراحت تردد البصر حولها من جديد وكانت نظراتها هذه المرة غريبة حقا وسألتنى أخيراً تقول:

- هل قلت لى إننا فى مشرب " لاكازا دى بريوزا " ؟.

- نعم ..

- إننى واثقة إن شيلا حدثتنى عنه ، وهذا يدل ..على أنها جاءت هنا لأنه لا يمكن أن يكون هناك مشرب بهذا الاسم فى كل جزيرة من جزر البحر الكاريبى .

- كلا ..لا أظن ذلك .

- لاريب إذن أنها كانت فى هذه الجزيرة - من الجائز أنها غادرتها وذهبت إلى مكان آخر ولكننى واثقة أن هذا آخر مكان كانت فيه .

- لا أفهم ماذا تعنين .

تفرست فى وجهى لحظة ، وتركتها تفعل وأنا أحاول التظاهر بعدم الاكتراث .. وأخيراً قالت :

- هل أستطيع أن أضع ثقتى فيك ؟.

- طبعاً .

- إننى أعتمد عليك إذن فإننى لا أعرف هنا أحدا آخر .. هل تريد أن تسمع مشكلتى ؟.

بدأت تذكر قصتها عندئذ ، وهى تجرع شرابها ما بين لحظة وأخرى فقالت :

- إنني ولدت فى الاوهيو ، ولكننى قضيت السنوات الأخيرة فى نيويورك

حيث كنت أعمل عارضة للأزياء ، وأشتغل بالتلفزيون من وقت لآخر .. فاكسب ما يكاد يكفى لسد رمقى .

قلت مارحاً :

- ظننت من ثيابك أنك وارثة .

ابتسمت ابتسامة قصيرة وقالت :

- إننى أشترى ثيابى بتخفيض كبير .

- وهل اسمك اليز مارتيلون حقاً ؟.

- نعم .. والآن وقد عرفت أننى لست وارثة ، أفلا ترغب فى التخلص منى يا مستر لانسنج ؟.

- ولماذا أرغب فى ذلك ؟.. إننى جالس الآن فى مشربى المفضل مع أجمل فتاة ، وفيما عدا ذلك فإن اسمى بيت ..

لم ترد المجاملة وإنما سألتنى قائلة :

- هل تريد أن أحدثك عن شيلا رامى ؟.

- بكل سرور .. إن أصدقاءك أصدقائى .

- كانت شيلا رامى صديقتى ، واشتركنا فى شقة صغيرة بنيويورك قرابة سنتين .. ثم حصلت شيلا على أجازة وسافرت إلى البحر الكاريبي وقد أرادت أن أرافقها ، ولكننى كنت مرتبطه في ذلك الوقت ببعض العقود ولم أستطع التخلص منها فسافرت شيلا وحدها .. وكانت هذه الجزيرة ضمن البلاد التى تنوى زيارتها ، وقد أرسلت إلى منها بطاقة بريدية وكانت آخر بطاقة جاءتنى منها ..

وأمسكت وحدقت فى كأسها ثانية ، وتلألأ شعرها الذهبى تحت ضوء الشموع وسألتها :

- وهل هذا كل شئ ؟.

- تقريباً .. لم أسمع عنها نبأ بعد ذلك .

- هل أبلغت البوليس عن إختفائها .

- تولت إدارة الشئون الخارجية الأمر ، ولا أدرى ما فعلوا ، ولكنهم لم يعثروا على شيلا .

- ولهذا السبب أتيت هنا ؟.. آخر مكان تعرفين أنها بلغته لكى تبحثى عنها ؟..

رفعت عينيها إلى وقالت :

- أيبدوا هذا غباء منى ؟.

- لا أدرى .. هذا رهن بمدى صداقتك لها ..

- كانت صديقة حميمة لى .. بل إنها كانت أكثر من ذلك .. يخيل لى أحياناً أن شيئاً بغيضاً قد حدث لها ، وفى أحيان أخرى يخيل لى أنها اختفت طواعية .. لعلها وجدت هنا شيئاً .. أو التقت بأحد ما .

قلت :

- سحر الجزر ، أليس كذلك ؟.

وقدمت إليها سيجارة رفضتها فعدت أقول :

- هناك بعض السحر فيما يتعلق بهذه الجزيرة.

– ألهذا السبب تبقى هنا يا مستر لانسنج ؟.

بدا لى الوقت مناسباً لتبادل الأسرار فقلت :

– إن الحياة هنا أسهل وأقل تأثيراً ، وأنا رجل كسول وعملى ، ولهذا أحببت هذه الجزيرة .

– لعل شيلا أحست بنفس هذا الإحساس .

قلت

– مع فارق واحد ، وهو أن إدارة الشئون الخارجية تعرف مكانى ، ثم إنني لم اختف أو أختبئ .

مهما يكن من أمر فإنك تعرف مشكلتى الآن يا مستر لانسنج .

– اسمى بيت .

– هذه هى مشكلتى يا بيت .

وطلبت كأسين آخرين من الروم المثلج .

لا تنعش الحياة تماماً أثناء المهرجان إلا بعد الظهر بوقت طويل ، ولهذا السبب كان فندق لاكازا دى ، الذى تقيم فيه اليزا ، وحيث تناولنا الغداء فى الظهر غير غير مزدحم إطلاقاً ، ولم يكن به أكثر من بضعة أشخاص يغالبون النوم ، ولكن اليزا أرادت أن ترى الجزيرة ، وأسعدنى أنا قضاء فترة بعد الظهر والأمسية معها .

كانت الفتاة تبدو أجمل بكثير فى ضوء النهار .. وكان واضحاً أنها تحب اللون الأبيض ،لأنها كانت ترتدى بلوزة بيضاء وشرتا أبيض ـ كانت ذات ساقين جميلتين ملفوفتين سمراوين .

وبدأنا بالتجوال حول الجزيرة ، وكنت قد استأجرت سيارة انطلقنا بها إلى الساحل ، وهناك سألتنى اليزا :

- ماذا يوجد فى وسط الجزيرة ؟.

- النصف عبارة عن غابة كثيفة والنصف الآخر أراض زراعية والمحصول الرئيسى وهو قصب السكر .. وهناك قرى قليلة فى النصف الأخير ..

- والغابة ؟.

- عبارة عن أشجار ونبات مفروش وعليق وحشرات وزواحف .

- أليس بها سكان ؟..

- لا أظن أن هناك سكانا يعيشون فى الغابة ، ولكن الناس يختلفون إليها للصيد والقنص ، ثم إن هناك أنصار الفودو ، وهم يذهبون إليها لممارسة طقوسهم .

وأوقفت السيارة فى جانب من الطريق .. كان الشاطئ على اليمين وكان مقفرا تماماً ، وينحدر انحدار خفيفاً نحو خمسين متراً تقريباً ثم يلتقى بالأمواج ، وعلى اليسار على نحو مسافة عشرة أمتار كان هناك جدار أخضر .

وقلت وأنا أسير نحوه :

- لا يوجد طريق خلال الغابة كما ترين ، لا أكثر من بضعة دروب تكاد لا ترى .. يجب أن يشق المرء طريقة بالمنجل .

ولكن ذهنها كان مشغولا بما ذكرته لها قبل ذلك لأنها قالت :

– إنني قرأت الكثير عن الفودو .. هل يمارسونه في كل هذه الجزر ؟.

– تقريباً .. ولكن فيم تفكرين ؟.

– في شيلا طبعاً .

– وهل ترين عارضة أزياء أمريكية تتحول إلى راهبة للفودو ؟.

– لا تمزح في هذا الأمر يا بيت .

– يؤسفني إنك أخذت عني هذا الانطباع .. ولكن من الجائز أن هذه الغابة لا تروق لي ، ويجوز أيضاً أنني أحاول أن أثبط عزيمتك في البحث عن شيلا في الغابة .

– والفودو ؟.

– إن السياح الأمريكين لا يهتمون بالفودو عادة ، فهو عمل خاص يمارسه الأهالي فيما بينهم .

– وهل تؤمن أنت به ؟.

– أوه .. إنني سمعت قصصاً غريبة تدور حوله ، ولكنني قضيت هنا أربع سنوات ولم يحدث أن احتككت به أبداً .

أخلدت إليزا إلى التفكير ثانية ، في حين انطلقت السيارة بنا من جديد أحسست بأنني أخطأت عندما بدأت بهذه النزهة ، ولكنني كنت أريد أن أريها جمال الساحل ومنظر المحيط ، وكنت أرجو أن أخرجها من كآبتها ولم يكن ينبغي أن أحدثها عن الفودو .

وانطلقنا في بطء في طريق الساحل ، وكنا نلتقي من وقت لآخر بإحدى عربات النقل ، ولكن لم نصادف سيارة خاصة واحدة .. وكان النسيم عليلاً

ونقياً ، ولكنه كان مثقلاً برائحة الملح .. ورحت أنظر إليها خلسة من لحظة لأخرى .. وكانت الريح تعبث بشعرها بصورة مبهجة ، ولكنها ظلت عابسة الأسارير .. وسألتها :

– هل تعرفين السباحة ؟.

– قليلاً ..

– هل سبق لك أن عرضت ثياباً خاصة بالاستحمام ؟.

– أحياناً ..

– أعتقد إنك فاتنة فى ثوب البحر .

– أظن ذلك ..

– هل تمنحينني الفرصة للتأكد من ذلك ؟

– وهل تظن أننا قد نجد شيلا على الشاطئ ؟.

قلت :

– حسناً .. فهمت .. العمل قبل المتعة .

وعدنا إلى المدينة أريتها كل ما يمكن رؤيته ونحن فى العربة . . المبانى الحديثة والنوادى والفنادق والمكاتب الحكومية والأماكن الفخمة التى يقيم فيها الأثرياء ورجال الأعمال الأجانب ، ثم البيوت الحديثة التى أنشئت لإقامة أفضل العمال وأمهرهم وأخيراً الأحياء القذرة التى يقيم فيها الأهالى وقلت :

– وهكذا ترين أن الجزيرة صغيرة وأنه من غير المعقول أن تختفى فتاة

جميلة كشيلا دون أن يعرف أحد شيئاً عنها .

- إذن فأنت تظن أنها ليست هنا ؟.

- إنني أشك في ذلك .

- وتظن أنني لا يجب أن أقلق ؟

- أوه ، كلا .. أريدك أن تبحثي عنها فإنني لا أريد أن أراك تأخذين أول طائرة وتسافرين بعيداً .. أعني على الأقل حتى يعرف كل منا الآخر معرفة وثيقة .

- قالت عاتبة :

- بيت !.

وكانت تلومني في كل مرة برقة أكثر من سابقتها واستطردت :

- إنك لا تأخذ مشكلتي مأخذ الجد .

وكانت الشوارع قد بدأت تزدحم بالوفود الصاخبة ، وعرضت عليها أن نذهب لتناول العشاء ، ثم نختلف بعد ذلك إلى علب الليل وسألتها :

- هل تتمتع شيلا بصوت جميل ؟.. لعلها تغني في أحد الأندية الليلة ..

قلت ذلك مداعباً ، ولكن قولي أثار اهتمام اليزا فقالت :

- نعم .. إن شيلا لها صوت جميل سواء تكلمت أو غنت .. وكانت تريد أن تحترف التمثيل بكل طريقة .

قلت :

- إن فرص التمثيل هنا قليلة .

وتناولنا العشاء ، وتجولنا فى أنحاء المدينة ، ولكننى رافقتها قبل ذلك إلى الفندق لكى تستبدل ثيابها ، ثم أعدت السيارة ومضيت إلى غرفتى الحقيرة لاستبدال ثيابى أنا الآخر .. وعندما إلتقيت بها فى بهو الفندق بعد ذلك كانت ترتدى ثوباً أبيض ، وكانت فى كل مرة أراها فيها أجدها أجمل من سابقتها .. وفى تلك الليلة بالذات كشفت عن كتفيها ، وكانتا جميلتين سمراوين وسمارهما يتألق ويلمع كالستان .

وتناولنا أسماكاً طازجة إزدردناها على عجل لأن غرفة الطعام كانت مزدحمة وخانقة ، ثم غادرناها مسرعين ، وتشبثت اليزا بذراعي فى قوة وكان شيئاً جميلاً أن أحس بها .. بجوارى ورأيت أننى سأفقدها حقاً فى اليوم الذى تستقل فيه الطائرة .

وتجولنا نحو ساعتين تقريباً .. واضطررنا أكثر من مرة إلى الاشتراك فى الرقص فى الشارع .. والرقص أثناء المهرجان يتم بطريقة عجيبة فما تشعر وأنت فى طريقك إلا وقد أمسك بعضهم بيدك قسراً وإذا بك تدور مع الراقصين سواء شئت أم لم تشأ .. وانتزعت اليزا منى مرة بهذه الطريقة انتزعها منى شاب طويل القامة لم يكن هناك أقل شك فى أنه وسيم تحت قناعه ، وكان لابد لى من خمس دقائق لكى أستردها منه ، وقد اضطررت تقريباً إلى معاركته .

وكانت الساعة قد تجاوزت العاشرة عندما بلغنا آخر الميدان حيث الناس أقل ازدحاماً ، وحيث تقوم بضع خيام تضم مسارح شعبية بينها سيرك وكانت اليزا متعبة وقد تجعد ثوبها الأزرق ، وسألتنى قائلة :

– ما هذه الخيمة الكبيرة ؟.

- هى مسرح للعرائس كما يبدو .

أتظن أننا نستطيع أن ندخل لكى نستريح لحظة ؟ وكانت رغبتها بمثابة أمر فقطعت تذكرتين ودخلنا وكانت الخيمة كلها عبارة عن عشرين قدماً مربعاً ، خانقة الحر وتغص بالمتفرجين ولكنها كانت على الرغم من ذلك ملجأً أميناً نستطيع أن نستريح فيه .

وكان أغلب المتفرجين يجلسون على دكك خشبية .. وكانوا جميعاً أشخاصاً مسنين وأطفالا .. وكان اهتمام .. جميعاً منصباً على مايدور على خشبة المسرح ، وكان الصخب شديدا ، بحيث كان يتعذر فهم الحوار ، ولكن كان يبدو أن المتفرجين يستمتعون بكل كلمة منه .

ومهما يكن من أمر فإننى لم أهتم بالحوار أى اهتمام ، خاصة وأنه كان يدور باللغة الأسبانية ، ولم أكن قد ألممت الماما تاماً بها بعد .. كنت واقفاً وبجوارى فتاة جميلة ، ولم أهتم بما تنطق به الدمى الخشبية ، ولكننى رأيت أن اليزا كانت تتابع العرض باهتمام .

كان الزحام شديدا بحيث وقفنا ملتصقين كل منا بالآخر .. وقد طاب لى أن أقف بجوار اليزا لأن شذاها غطى على رائحة الثوم والعرق التى تملأ المكان .. وكان كل منا لا يزال ممسكاً بيد الآخر كما دخلنا ويبدو أن اليزا نسيت يدها فى يدى ، وقد طاب لى ذلك أنا أيضاً .

وفجأة شددت الضغط على يدى بقوة لم أشعر بها من يد امرأة قبل ذلك ثم سمعتها تهمس قائلة :

- بيت .. هذا صوت شيلا ..

ولم أكن سريع الخيال لأننى قلت :

- ماذا ؟.. أين ؟..

- إحدى هذه العرائس تتكلم بصوت شيلا ..

- هل أنت واثقة ؟ ,- ألا تفهم ؟.. لابد أن شيلا خلف خشبة المسرح .

وكانت هى التى تقدمتنى هذه المرة ،فخرجنا من الخيمة ودرنا بهاوكان المكان مظلماً فلم نر أحداً ..وعندما أدركت أن اليزا تبحث عن فتحة الخيمة كانت قد امتدت إليها وجرتنى خلفها ..

وكان المكان الذى تسللنا إليه ضئيل الضوء ،وشعرت فى بادئ الأمر بإحساس غامض ..كان مكان ضيقاً مستطيلاً يفصله عن باقى الخيمة ستارة أخرى من القماش تؤدى إلى المؤخرة .. أما الممثلون .. أعنى الممثلين الذين يحركون خيوط الدمية ويتكلمون نيابة عنها فقد كانوا يختفون فى الظل ، فوق سقالة من الخشب مرتفعة عنا ، وتقع خلف المسرح بالذات ..

وهمت اليزا بصعود السلم المؤدى إلى السقالة ، ولكننى أوقفتها لأننى كنت قد رأيت من أين يصدر النور الضئيل الذى ينير المكان ، وجذبتها على الفور قائلاً :

- انظرى ..

كانت هناك سبع جماجم مصفوفة فوق رف .. سبع جماجم بشرية غرزت فى كل منها شمعة .. سبع شمعات مشتعلات فى سبع جماجم بشرية .. كان هذا هو مصدر النور ..

وليس من السهل إخافتى ، ومع ذلك فإن منظر هذه الجماجم البشرية

أثارنى ، وأفزعنى ، وأخجلنى إننى شعرت بقشعريرة تسرى فى بدنى ..

وأدركت إنها تمر بنفس التجربة هى الأخرى ، وأحسست بصدى رعشتها تنتقل من يدها إلى يدى وهمست تقول :

- بيت ! .

ولعلنى أردت أن أظهر أمامها عندئذ بمظهر الرجل الشجاع فقد تقدمت خطوتين ولمست إحدى الجماجم .. كانت تبدو صلبة ومتينة ، فقلت :

- إنها جماجم حقيقية وليست من الورق الملون .

ولم تشأ أن أفارقها ، فدنت منى وتشبثت بى بيديها وقالت :

- وما شأنها يا بيت ؟

- الحق إننى لا أدرى .. هل كانت صديقتك شيلا من الغجر الذين يحبون الشمعدنات الغريبة ؟

وكانت قد نسيت شيلا لحظة ، ولكنها رفعت رأسها ، وأصغت إلى الأصوات المنبعثة من خلف المسرح ثم قالت :

- إننى سمعت صوتها من جديد .. إننى أعرفه فى أى مكان .. إننى أعرف إنها هناك .. فوق .

ونقلت بصرها إلى الجماجم وشحب لونها . وكان فى مقدورى أن أعرف فيم تفكر .. كانت تقول لنفسها :

- " إننى عثرت على شيلا ، ولكن فى أية ورطة تراها .

وكنت أحاول التغلب على خوفى شيئاً فشيئاً فأجبت :

– لا أنصحك على كل حال أن تباغتى شيلا فوق فى الظلام وأن تقطعى العرض ، لماذا لا ننتظر هنا حتى ينتهى العرض ، ثم نسأل شيلا عن معنى كل هذا ؟

أومأت اليزا برأسها ، وقد سرها أن تجد من تعتمد عليه وكانت يداها تضغط على ذراعى بشدة ، وقالت :

– أشعر بأننى لست على ما يرام .

فقلت :

– يمكننا أن ننتظر فى الخارج ..

– كلا ، سوف يزول ما بى بعد قليل .. لا أريد أن أجازف بفقد شيلا ..

وحدقت فى وجهى أخيراً وقالت :

– بيت .. هذه الجماجم .. إنها ليست فودو ، أليس كذلك ؟

– إننى لست خبيراً فى هذا الموضوع أيتها الحبيبة ، ولكن كل الذى أعرفه هو الدمى المرشوقة بالدبابيس ..

ولا أدرى كم من الوقت لبثنا فى تلك الضوء الضئيل المنبعث من الجماجم . ووقفت اليزا بجوارى ، ولكننا لم ننطق بكلمة أخرى .. احتفظ كل منا بأفكاره لنفسه . وكانت أفكارى أنا بالذات مشوشة .

وفى أثناء ذلك ، واستناداً إلى الجلبة ، وكان المهرجان . على أشده فى الميدان .. وفى الجزء الرئيسى من الخيمة كان عرض العرائس مستمرا ، وكانت تصدر من خشبة المسرح نحو ستة أو سبعة أصوات ، ولكن لم أكن أدرى أيها هو صوت شيلا رامى ..

وأخيراً ، وبعد ما خلناه دهراً ونحن في ذلك المكان الضيق الفاسد الهواء مع الجماجم السبع انتهى العرض وسمعنا التصفيق الشديد ، يعقبه صوت المشاهدين الذين راحوا يغادرون الصالة .. ولم نلبث أن سمعنا صوتاً صادراً من فوق السقالة ، وبدأ السلم يهتز تحت ثقل شخص يهبط فوقه ..

وانتظرنا متوترين ، وشددت اليزا الضغط على ذراعي الأيسر ، حتى كادت تحطم عظامي ، ورأينا ساقين لرجل غير جميلتين في بنطلون باهت اللون ..

وكان يولينا ظهره أثناء هبوطه ، ولهذا لم يرنا .. وكان رجلاً قصيراً لا يزيد طوله عن خمسة أقدام ونصف .. وكان يرتدي قميصاً أزرق باهتاً قذراً وكانت رأسه كبيرة بالنسبة لحجمه ، وبدت غير متناسقة عليها شعر كثيف غزير مجعد وخطه المشيب هنا وهناك ..

وكان واضحاً أنه لا يعلم بوجودنا ، لأن الدهشة الحقيقية ارتسمت على وجهه عندما بلغ أسفل السلم واستدار إلينا .. ولم تلبث دهشته أن تحولت إلى إحساس آخر .. ظل من الشك أو الخوف .. ولكن هذا الظل لم يلبث أن اختفى هو الآخر ، وابتسم وانحنى أمامنا ..

وعلى الرغم من ابتسامته لم أحب وجهه ، فقد كان مستديرا ، وكانت وجنتاه منتفختين وحمراوين كما لو كان قد صبغهما بالأحمر ، وشفتاه مكتنزتين تبدوان كما لو كانت مخضبتين بأحمر أشد احمرارا من أحمر وجنتيه ، وعيناه وسعتان براقتان سودوان تحت حاجبين كثيفين لعلهما هما اللذان جعلاه يبدو مشدوها ، وكان شعرهما مستقيماً ومشدوداً .. كل هذه الألوان الصارخة جعلته يبدو كوجه دمية .. دمية بعيدة عن كل الجمال ، بدت

أقرب إلى العفريت أو القزم الصغير .. وكان وجهه يتلألأ تحت ضوء الشموع ..

قال فى صوت به رنة من التكلف :

– مساء الخير . وكان يتكلم كما لو كان يتلو أحد أدوار عرائسه ، مع فارق واحد هو أنه كان يتكلم اللغة الإنجليزية ..

ولابد أن اليزا أشد هدوءا مما تبدو ، ولابد أنها لمست حـذر الرجل كما لمسته أنا ،لأنها لم تندفع وتوجه إليه السؤال الذى كنت أخشاه وهو " أين شيلا رامى ؟".

وكان سؤالها على العكس يقظاً حذرا لأنها قالت :

– أين باقى الممثلين ؟.

نظر الرجل اليها فى استغراب وفى غير إدراك ، فإستطردت تقول فى نفس الحرص :

– إننا رأينا العرض وسمعنا الأصوات المختلفة وتساءلنا كم من الأشخاص يقومون بعرض مثل هذا . أعنى شد الخيوط والنطق بكل هذه الأصوات المختلفة ؟.

وأظن أن الحيلة جازت على الرجل ،لأنه لمس الأطراء فى السؤال فانحنى مرة أخرى ، أكثر من المرة السابقة وازدادت ابتسامته وقال فى زهو :

– أنا .. الممثلين .

وكنت أرقب اليزا فرأيتها تتردد .وعرفت أنها تسأل نفسها هل أخطأت فى معرفة ذلك الصوت ..ولكنها لم تصب بأى ذعر ،وكان سؤالها التالى

أكثر حذراً من سابقه فقد قالت

- هل تعنى أنك أنت الذى تتكلم بكل هذه الأصوات المختلفة ؟.. ولكن بعضها أصوات نساء ..

هز الرجل كتفيه وقال وهو لا يزال بادى الرضا :

- أنا كل هذه الأصوات .. أنا الممثل الوحيد .

ازداد ارتباك اليزا فأسرعت أقول محاولا تغطيتها

- عظيم .. إنك تقدم عرضاً رائعا .

أجاب الرجل هذه المرة وهو ينحنى حتى كاد أن يلمس الأرض :

- أشكرك .

ولبثنا دقيقة لا ينطق أحدنا بشئ .. وبدا أن الرجل ينتظر أن نحييه وننصرف .ولكن اليزا لم تكن متأهبة للرحيل ، فقد راحت تحدق فيه ،ولعلها كانت تتأهب لإلقاء سؤال غير حكيم .

ولعل السؤال الذى ألقيته أنا لم يكن حكيما هو الآخر ،لأننى قلت :

وما فائدة هذه الجماجم ؟..

ولكنه أسرع يرد دون أن تبدو عليه أية دهشة :

- إنها جماجم حقيقية .

قلت :- نعم .. أعرف ذلك .ولكن ماذا تفعل بها ؟.

ازداد إحمرار وجهه .. بدا كإحدى عرائسه بوجهها الصارخ فى الإحمرار وفى تعبيراتها الصناعية .وقال :

– ألن تضحك منى ؟.

– كلا بالطبع .

– حسناً .. أنا رجل أؤمن بالخرافات وأعتقد أن الجمجمة تجلب الحظ ولهذا جمعت هذه الجماجم من كل بقاع الأرض ..وجدت بعضها واشتريت البعض الآخر ..وقد جلبت لى الحظ :

– سألته من كل بقاع الأرض ؟.

أجاب في فخر :– نعم إننى عرضت عرائس فى كل البلاد واسمى ترينكولو ..

ونطق بالأسم فى زهو كما لو كان اسماً مشهوراً ..وذكرت له اسمى وقدمت له اليزا فقال :

– عظيم .. انتما الإثنان أمريكيان إذن ؟ .

– هو ذاك .

– إننى أحب الأمريكان كثيراً ..

واستطرد يقول وهو ينحنى :

– أرجو أن تلتمسا لى العذر لحظة ..

وكان له ما يريد ،ورأيناه عندئذ يقوم بشئ غريب فقد مضى إلى الجماجم وأطفأ الشموع واحدة أثر الأخرى ،وكان يضع يده فوق الفجوتين فيحرم نار الشمعة من الأوكسجين وكان يقوم بعمله هذا فى شئ من الخشوع والاحترام ، كما لو كان كاهناً أمام المذبح .. وازدادت ظلمة الغرفة شيئاً

فشيئاً ،ولم تلبث أن أصبحت فى ظلام تام بعد أن أنطفأت آخر شمعة .

وكنت أنا واليزا لانزال نتماسك بالأيدى ..وقد ضغطت على يدى عندئذ كما لو كانت تدعونى إلى نجدتها ..وخشيت أن تصرخ أو أن تندفع نحو الباب أو أن تفعل أى شئ آخر ،ولكن بعد لحظة وجيزة حك صديقنا عودا من ، الثقاب وأشعل مصباحاً غازياً ،لم يرسل كثيراً من الضوء ،ولكن يجب أن أعترف بأن ضوءه كان مريحاً ..

وقلت :– أظن أن من الأوفق أن ننصرف .

ولكن اليزا بعد أن كادت تموت من الخوف أكثر من مرة فى هذه الغرفة كان لا يزال لديها بعض الجرأة لأنها قالت :

– مستر ترينكولو .. هل نستطيع أن نرى خشبة المسرح وعرائسك قبل أن ننصرف .. إن عرائسك قد خلبت لبى لفرط حيويتها .

ولعل الرجل القصير أراد أن يتباهى ، أو لعله تصور أن هذه هى الطريقة الوحيدة لكى يتخلص منا .. مهما يكن فقد تقدم إلى الستار ورفعه ،وأشار لنا أن نصعد إلى خشبة المسرح ..

كان ارتفاعها نحو متر ،ولم تكن هناك أية درجات ،وعاونت اليزا على الصعود ثم صعدت بدورى وتبعنا ضيفنا بوثبة واحدة رشيقة .

ووجدنا أنفسنا فوق منصة الاستماع ،وكان بها ضوء أكثر ورأينا العرائس أمامنا ،وكانت مصفوفة كما لو كانت لكى تلقى بالتحية الأخيرة ..وكانت كا منها أكبر مما كنت أتوقع ،نحو ستين سنتيمترا تقريباً ..وكانت مصنوعة بطريقة فنية بارعة ،وجوهها مطلية بألوان زاهية طبعاً ولكنها كانت

تبدو كما لو كانت حية .

وكان ترينكولو ، يشرح شيئاً ما ولكنني لم أكن أصغي إليه ،فقد ذهلت لهذه المصادفة ..كانت هناك سبع عرائس .وسبع جماجم ..وأشرت إلى ترينكولو بذلك ولكنه لم يزد عن أن ابتسم وقال :

– قلت لك إنني أؤمن بالخرافات يا مستر لانسنج ،وإنني أتفائل بالرقم ٧.

ولم تكن اليز ا بمصغية إلينا ،فقد كانت جاثية أمام إحدى العرائس ..فتاة لها شعر أسود وعينان زرقاوان .وكان يبدو على وجه اليزا تعبير غريب .

وقدم لنا ترينكولو ، أيضاحاً عن طريقة استخدامه الخيوط التي تحرك العرائس ،وحاولت أن أبدى اهتماماً ما حتى لا يلحظ ما اعترى اليزا ،وعند أول فرصة شكرته وأنا أقول إن الوقت قد حان حقاً للانصراف .

ولم تعترض اليزا هذه المرة .وبعد دقيقة واحدة ألفينا نفسينا في الميدان ،وكان لا يزال مزدحماً بالناس .ومرة أخرى تقدمتها في الطريق وأنا أشق الحشود وابتعدنا عن المسرح بضع خطوات ..وعندئذ توقفت فجأة ورفعت عينيها إلى وقالت :

– بيت يجب أن أقول لك شيئاً .

– ماذا يا حبيبتي ؟.

– تلك العروس تشبه شيلا كل الشبه .

وفي أثناء الإفطار ، في صباح اليوم التالي كانت تبدو مختلفة ..كانت

ملامحها متعبة وزائغة العينين كما لو كانت لم تنعم بالنوم جيداً .

ولكن كان يبدو أنها قد صممت على شئ على الرغم مما تشعر به من خوف ..

وعرضت على صورة دقيقة بالألوان لفتاة فى مقتبل العمر ، عارية الكتفين ذات شعر أسود وعينين زرقاوين وهى تقول :

– ها هى شيلا .. ألا تشبه تلك الدمية ..

– إننى لم أنظر إلى الدمية عن كثب يا حبيبتى .. ثم أن الصورة الفوتوغرافية غير أمينة فى أكثر الحالات ،ويكفينى أن أصدقك ولكن ماذا نفعل الآن ؟.

قضينا النهار نتجادل فى هذا السؤال ، فتجولنا فى الشوارع فى الصباح ثم استلقينا على الشاطئ طوال بعد الظهر .

كانت جميلة جداً فى المايوه الأبيض ،وكان من قطعة واحدة كما توقعت ..وكان يلتف بقامتها ويشدها دون أن يبرز مفاتنها أكثر من اللازم ..وكان من المفروض أن أركز تفكيرى حول الفتاة المختفية أكثر من أن أركزه حول الفتاة التى معى قلباً وقالباً ..

ولكنني لم أفلح كثيراً مع شيلا كما لم أفلح مع اليزا ، كانت النتيجة الوحيدة التي وصلنا إليها أنه ليست هناك أية جدوى من إبلاغ البوليس لا لشئ إلا لأن هناك دمية تشبه شيلا وتتكلم بصوتها فى نفس الوقت فاننا لا نستطيع أن نثبت أن هناك أية رابطة بين ذلك وبين إختفائها ،وأكدت لليزا أن رجال البوليس سيسخرون منا إذا نحن روينا لهم هذا الهذر ..

كان الشئ الوحيد الذى نستطيع أن نفعله هو أن نهتم بترينكولو ، بطريقة مباشرة وغير مباشرة كذلك .. لم نكن نستطيع أن نتهمه بأى شئ لأننا لم نكن نملك أى دليل ، ثم إننا لم نكن نعرف بماذا نتهمه .

كانت أول مشاكلنا هى اكتشاف الحقيقة ..وأكفهر وجه اليزا وراحت تقول :

- هذه جزيرة فودو ..

- إننى أعيش هنا منذ أربع سنوات يا حبيبتى ولم أسمع أبداً أحدا يقول عن هذه الجزيرة إنها جزيرة فودو ..

- ولكنك اعترفت بأنك لست خبيراً فى هذه الناحية .

- حسنا ..حسنا ..

- إذا جمعنا هاتين الحقيقتين معاً وهما أن هذه الجزيرة هي آخر مكان جاءتنى منها أنباء من شيلا وأن الدمية تشبهها كل الشبه وتتحدث بصوتها فإنها لتكون مصادفة غريبة .

- ولكن من المحتمل أن خيالك يشتط قليلاً أيتها الحبيبة ، فإنك لا تفكرين إلا فى شيلا وخيالك يدور حول صوت ووجه دمية تشبه شيلا ..

- بيت وإذا لم تصدقنى فلا حاجة بنا إلى أن نتكلم فى هذا الموضوع..

- سأتكلم فى هذا الموضوع طالما شئت أنت يا حبيبتى وسأذهب معك إلى كل مكان وأفعل كل ما تريدين ..

كان هذا ارتباطا منى ولكننى كنت أعنيه حقاً فقد وقعت فى هواها ..

وعدنا إلى مسرح العرائس فى هذه الليلة كذلك وقعنا بنفس ما قمنا به بالأمس ، فقد شهدنا العرض فترة من الوقت ،وكانت اليزا تركز كل اهتمامها على الدمية السوداء ذات العينين الزرقاوين ،وهمست لى تقول إنها متأكدة تماما أن الدمية تشبه شيلا كل الشبه وإنها فوق ذلك تتكلم بصوت شيلا نفسها ..

وعندما بدا لنا أن العرض يوشك على الإنتهاء أسرعنا إلى الغرفة الخلفية للخيمة ودخلناها من جديد ، وكان كل شئ كالأمس تماما بما فى ذلك الجماجم والشموع المضاءة .

ولم نكن قد أعددنا أية خطة ولا أى عذر نلتمسه لهذه الزيارة الثانية وكان لابد أن نتصرف طبقاً للظروف ،وقفنا لحظات ونحن نكتفى بالنظر فيما حولنا ..

وأخيراً خطر شئ أقدمت عليه دون إستشارة اليزا ،ولم يكن بمقدورى أن أعرف أين ستؤدى بى هذه الخطوة ،ولكن كان العمل أفضل من الكلام ، واستقر عزمى فجأة ومضيت إلي حيث الجماجم ونفخت فى إحدى الشموع وأطفأتها ..

وجاءت النتيجة سريعة ومفاجئة ، صحيح أن الحوار الأسبانى بأصواته المختلفة الصادرة من بين شفتي ترينكولو الواقف فوق السقالة لم ينقطع لحظة واحدة ولكن حدث شئ غريب فلم يكن من الميسور لى مقابلة الحديث بسبب اللغة ولكن كان واضحاً أن أحد الأصوات تغير بشكل محسوس ، فقد تلعثم ترينكولو وراتج عليه القول وتنحنح دون أن يستطيع النطق بالصوت الأصلى ،ولا أدرى ماذا فعل لإصلاح الأمر ولكن مما لاشك فيه أنه قام

ببعض التغيرات في الحوار وجعل عرائسه تتشقلب بصورة ارتجالية .

ولم يلبث أن انتهى العرض ودوى التصفيق العادى ثم هبط ترينكولو من سقالته بأسرع من الأمس ، هبط مسرعاً على خلاف ما فعل بالأمس وأظن أنه نظر إلى الجماجم قبل أن ينظر إلينا ورأى الشمعة المطفأة عندئذ فأطلق سبة بلغة لم تكن بالأسبانية ولا بالانجليزية .

وكنت قد أعددت إيضاحا مقبولا فأسرعت أقول :

– أرجو أن تلتمس لي العذر لحماقتى يا مستر ترينكولو ، فإننا عندما دخلنا منذ لحظة نسمة من الهواء أطفأت هذه الشمعة ..

وتحولت عيناه الينا عندئذ ،كان جامد الأسارير ولم أستطيع أن أعرف إذا كان قد رضى بتعليلى أم لا ، ومع ذلك فقد استرد رقته على الفور ،وفى هذه المرة بدأ بإشعال المصباح الغازى ثم أطفأ الشمعات الباقية بعد ذلك ثم استدار الينا وقال :

– إنكما عدتما سريعاً أيها الصديقان الظريفان .

– ذلك إن مسرحك أحسن مسارح المدينة كلها يا مستر ترينكولو .

– أشكرك .. إنني قدمت عروضى أمام ملوك ولكنني أغتبط جدا عندما أسمع أن بعض الأمريكان يهتمون بأعمالى ، فهم أناس عمليون جدا ومن الصعب إرضاؤهم .. هلا بقيتما معى لحظة ريثما نتناول فنجانين من الشاى ..

وأنا لا أحب الشاى بصفة خاصة ولكننى رأيت أن أقبل لكى نتمكن من البقاء معه فترة من الوقت ..

وذهب أولا فجاء من مكان مظلم ببعض المقاعد التى تطوى وجلسنا ثم أشعل موقداً غازياً وضع الماء فوقه لكى يغلى ..

وفى أثناء ذلك راح يحدثنا عن رحلاته ..وكان حديثه ممتعاً ،ومع ذلك فإنه لم يفسر لنا لماذا تشوش العرض لمجرد أن شمعة انطفأت .. ولم أشر أنا إلى ذلك ..

وعندما أصبح الماء فى درجة الغليان ألقى فيه قليلاً من الشاى وتركه حتى ينقع تماماً ثم صبه فى ثلاثة فناجين ،وجاء بعد ذلك بزجاجة صغيرة رفع سدادتها وأمالها فوق الفناجين قائلاً :

– إننى .. أننى أحببت الروم فى هذه الجزيرة .. هل لكما فى قليل منه .

ولم يكن هناك أى سبب لكى أرفض .. ولم تنطق اليزا بأية كلمة فقلت له أن يفعل ..

وكان الشراب لنيذا خاصة وأن الروم مع الشاى خلق جوا من المودة والألفة .. وقال بعد لحظة :

– هل أستطيع أن ألقى سؤالا جريئاً جداً ؟.

– وما هو ؟.

– إنه يتعلق بالسنيوريتا .. أردت أن أقول لها إنها جميلة جداً .

– هذا صحيح ..

برقت عيناه اللتان تشبهان عينى الدمية ،وكان قد تغلب على اضطرابه بسبب الشمعة وقال :

– آه .. أستطيع أن أقول إنك تحبها كثيراً ..

– هل تقرأ الأفكار يا مستر ترينكولو ؟.

– إننى لست أعمى .

– لم أحدثها فى ذلك ولهذا فأنت أول من يعرف أننى أحبها .

– والسنيوريتا هى التى تهتم بعرائسى وقد جئت أنت برفقتها ؟.

سأكون صريحاً معك اننى مهتم باليزا أكثر من اهتمامى بعرائسك .

تحول إلى اليزا بعينين متسعتين بريئتين كل البراءة وقال :

– لا يبقى أمامنا الآن إلا شئ واحد وهو لماذا تهتم السينوريتا بعرائسى كل هذا الاهتمام ؟.

لم أنطق بشئ تاركا لإليزا مهمة الرد .. كان فى مقدورها أن تتهرب ، فقد كانت من الذكاء بما يكفي لكى تفكر فى أى شئ ولكننى أظن إنها لم تشأ التهرب أكثر من ذلك فإن خيالها بنى الكثير من الاحتمالات البغيضة وهى الآن تريد بعض الحقائق .

واستقر رأيها فجأة وقالت :

– مستر ترينكولو إننى أهتم بعرائسك لأن احداها تشبه صديقة لى اسمها شيلا رامى ، وتتحدث بصوتها .

لم تختلج لترينكولو عضلة واحدة وقال بكل هدوء :

– هذه مصادفة عجيبة يامس مارتيلون ..

قالت اليزا :

– بل إنها مصادفة مدهشة .

قالترينكولو مؤمنا :

– نعم ..مدهشة جداً ..هناك ملياران من الناس فى بقاع العالم ودونا عن الجميع صنعت دمية تشبه صديقتك وأعطيتها صوتها .

واستطردت اليزا تقول :

– بل إنها أكثر من مدهشة لأن صديقتى زارت هذه الجزيرة منذ سنة بالتدقيق وأثناء المهرجان ..

وبدت متمالكة لنفسها ، رابطة الجاش منطقية وقد تبخر خوفها .وكان ترينكولو رجلا ذكياً ..كان فى مقدوره أن ينكر إنكارا تاما ولكن لاريب أنه كان يعرف أن فى مقدوري أنا أن أكذبه إذا هو أقدم على ذلك فقد كنت موجودا فى السنة الماضية ولهذا قال فى رفق :

– إنني كنت هنا فى العام الماضى وإننى لأتساءل ..

وبدأ.. كأنه يفكر ورفع عينيه إلى السقف وضم شفتيه وانتظرنا .

وقال أخيراً :

– إنني أتساءل هل يمكن أن أكون رأيتها وسمعت صوتها ، فإننى أكشف لكما الآن عن سر من أسرار مهنتى وهو أننى أصوغ عرائسى لأشخاص على قيد الحياة .. إنني أبحث عادة عن وجه غير عادى وصوت مثير كوجهك وصوتك ، يامس ماتيلون ، فأنت جميلة جداً ولك صوت رخيم وإننى لأحب أن أصوغ ذات يوم دمية لها وجهك وصوتك .

قالت اليزا فى حدة :

– دع الحديث عنى يا مستر ترينكولو .. متى صنعت هذه الدمية التى

تشبه شيلا ؟.

كان فى الإمكان أن يقع فى الفخ عندئذ ولكنه لم يفعل وقال :

- ولكن عن أية دمية تتحدثين يا مس مارتيلون ؟.

- تلك التى لها شعر أسود وعينان زرقاوان .

- آه .. إنني أدعوها ستيفانا وأحبها كثيراً ..

- ومتى صنعتها ؟.

- منذ وقت قريب .. منذ ستة شهور أو أكثر قليلاً .

- إنك صنعتها نقلا عن شيلا رامى إذن ؟.-

- هذا جائز .. لن أدعي العكس .. ولكن يجب أن تقولى هذا لصديقتك فقد يهمها أن ترى دميتى ..

كانت هذه أبرع لمساته ، فقد أنكر بذلك اشتراكه فى إختفاء شيلا دون أن نتهمه بشئ أصلا ، ورأيت اليزا تتردد وترتبك هل تتهمه أم لا ؟ .. أو هل تتظاهر بالبرود وتستمر فى إستجوابه عما وقع لشيلا ، أم تهاجمه بكل شجاعة وتحاول أن تضيق عليه الخناق .. كان إختيارا عسيرا .. وتركتها تواجهه على أن أساندها إذا ما هاجمته .. ولكنها قالت فى رقة :

- لا أستطيع لسوء الحظ أن أقول لشيلا أن تأتي لكى ترى عرائسك فإننى لم أرها منذ سنة .. والواقع أن آخر ما أتانى منها كانت بطاقة بريدية أرسلتها إلى من هذه الجزيرة ..

ظل ترينكولو محتفظاً بمظهره البرئ ، ولكننى رأيت من نظرته أنه متوتر الأعصاب ولكن لعل ذلك كان أمراً طبيعيا وقال :

– أنت لا تهتمين إذن بإحدى عرائسى وإنما بما وقع لصديقتك ، وهذا هو سبب وجودك فى مسرحى ..

أجابت اليزا :

– هو ذاك ..

ألقى إليها نظرة سريعة ثم انتقلت عيناه إلى .. عيناه الواسعتان البريئتان ، وكنت قد كونت عنه رأيا نهائياً ولكننى لم أدر ماذا أفعل .

وقال :

– بقدر ما أستطيع أن أتذكر لم أر صديقتك أبداً فى حياتى .

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية بكثير عندما تركت اليزا فى بهو فندق الكازا دى متمنياً لها ليلة طيبة .. كانت تبدو مضطربة ومتعبة ولكنها كانت مع ذلك فى صحة جيدة ..

ولهذا ما كان أشد دهشتى عندما ذهبت صباح اليوم التالى لإستقاء أنبائها فقيل لى أنها نقلت إلى المستشفى .. ولم أنتظر لكى أسأل عن التفاصيل ..

كانت مستشفى سانتو كريستوفرو ، مبنى حديثاً يقع على أجمل ساحل من سواحل الجزيرة ، ولم أكن أعرف عنها شيئاً كثيراً فيما عدا أنها تضم نخبة ممتازة من الأطباء الأمريكيين وأن جماعة من الراهبات تشرف عليها..

واستقبلتنى إحدى الراهبات ، وكانت هادئة وقورة فى ثوبها الأبيض وقالت لى إننى لا أستطيع أن أرى اليزا لأننى لست من أقاربها ولكنها سمحت لى أخيراً أن أرى طبيباً عندما قلت إنه ربما يكون لديه معلومات عن سبب

المرض الذى أصبيت به ..

وكان الطبيب حديث التخرج وقال لى أن اليزا تشكو من حمى شديدة على أن الأمر ليس خطيراً وإنهم لم يشخصون مرضها بعد ، ولكن لا ريب أنه نوع من الحمى المحلية وإنهم لا يحاولون علاجها فى هذه الحالة وإنما يكتفون بمكافحة المرض والعناية بالمريض ، وإن من الأفضل أن لا أراها فى الوقت الحالى ..

وحدثته عن الشاى الممزوج بالروم فبدا عليه الإهتمام فى بادئ الأمر ولكن عندما قلت له إننى شربت منه أنا الآخر دون أن ينالنى أى ضرر زال اهتمامه .. ولم أر حاذا أستطيع أن أفعل فتركت رقم تليفونى وقلت إنى سأعود فيما بعد وإننى سأرى اليزا شاء أو لم يشأ .. وقابل الطبيب قولى هذا بابتسامة متسامحة ..

ومهما يكن من أمر فقد كان لدى ما أفعله فى مكان آخر ..كان لابد لى أن أرى صاحب مسرح العرائس ..

وبدت خيمة ترينكولو غريبة المظهر وفى غير موضعها المناسب فى ضوء النهار ، فقد كانت منفرة ، وخشيت جداً أن يكون ترينكولو قد غادرها ولكننى لم أقدر الرجل حق قدره لأنه كان راقدا فى هدوء فى ركن من الغرفة الخلفية ..

صحت به أوقظه فى غير رفق فجلس وراح يدعك عينيه ثم حدق فى متسائلاً دون أى عداء ظاهر وقال :

– صباح الخير يا مستر لانسنج وكان صوته غليظا .. كان نائماً حقاً ما لم يكن ممثلاً قديرا وصحت به :

- لا خير هناك ..

- ولماذا ؟.

- ماذا فعلت باليزا ؟.

طرفت عيناه وقال :

- شيلا رامى أولا ثم اليزا مارتيلون الآن .. إننى لم أفعل بها شيئاً .. فتش عنها بنفسك ..

- لم أقل إنها هنا ، فإننى أعلم أين هى .. إنها فى المستشفى بدا عليه الحزن وقال :

- يؤسفنى أن أسمع هذا ..

- كفى تظاهراً .. نهض فى بطء ويلفت رأسه مستوى كتفى تقريباً ومضى إلى منضدة فوقها أبريق ماء وطست ورش وجهه بالماء ، ثم جففه بمنشفة قذرة وتنازل أخيراً فرد على قائلاً :

- بماذا تتهمنى هذه المرة يا مستر لانسنج ؟.

- بأنك أرسلت اليزا إلى المستشفى ..

- وكيف هذا ؟..

- كيف ؟.. لا أدرى .. إما بهذا الشاى الممزوج بالروم وأما بسحر ألقيته عليها ..

ابتسم ، ولا أظن أنه أدرك إلى حد كان يتعرض لوقوعه صريعاً تحت لكماتى .. ولم أتمالك نفسى إلا أننى خشيت أن يضر ذلك باليزا .

– أما عن الشاى فقد شربنا منه أنا وأنت يا مستر لانسنج ولم يصبنا شئ ..

وجلس فوق أحد المقاعد فى حين سألته :

– وعن السحر ؟.

– لولا أن السينوريتا الجميلة فى المستشفى لأضحكتنى فكرتك هذه يا مستر لانسنج ..

كلا ..إنه لن يستطيع أن يتهرب منى بهذه السهولة .. وأظن إنه تأكد من ذلك .. كان يحاول اكتساب الوقت لا أكثر .

وقلت له فى تؤدة :

– اصغ إلى يا صاحبى .. إننى لم آت هنا للعب فإن لدى فكرة معينة عن طريقتك فى العمل .. إنك مسئول عن اختفاء شيلا رامى قتلتها وإحدى هذه الجماجم السبعة جمجمتها هى بالذات وأنت تستخدم هذه الجماجم فى عرضك بطريقة لا أفهما .. أن النسمة لم تطفئ تلك الشمعة أمس يا ترينكولو ، وإنما أنا الذى أطفأتها لكى أرى ما سوف يقع من رد فعل وقد وقع شئ فى نفس اللحظة التى أطفأت فيها الشمعة .. شئ شوش كل البرنامج .. وهذا يتطابق بطريقة غريبة ومنطقية فن شيلا رامى اختفت ولديك دمية تشبهها وجها وصوتا .. ومن المحتمل ولا ريب أن المعمل يتمكن من إثبات كل ذلك .. ثم إن لديك جمجمتها .

نظر إلى فى هدوء .. وكانت عيناه باردتين كعينى ثعبان ، وقال :

– هل تدرك يا مسترلانسنج ما فى قصتك هذه من غرابة ؟.. وهل تدرك

أنه ليس لديك أى دليل على ما تقول ؟..

– ربما .. ولكن لاتنس المعمل يا صديقى ..إن فى الإمكان التوصل إلى نتائج كثيرة بواسطة المعمل ..

لم يكن شديد الثقة بنفسه كما كان يتظاهر فإن الإشارة إلى المعمل أزعجته وقال :

– ما هى نواياك يامستر لانسنج .. هل تريد أن تأخذ كل جماجمى وتحاول أن تثبت أن إحداها هى جمجمة شيلا رامى ؟..

– لو أن اليزا لم تكن فى المستشفى لفعلت هذا بكل تأكيد .. ولكنها تهمنى الآن أكثر من أية فتاة أخرى ، وكذلك تهمنى أكثر من سعادتى فى البطش بك ولهذا فإننى على إستعداد للتفاوض معك ارفع عن اليزا السحر الذى ألقيته عليها فنغادر أنا وهى الجزيرة ونتركك وشأنك .

لم يحاول التظاهر أو الخداع بعد ذلك لأنه قال :

– هناك صعوبة .. لنفرض إننى فعلت كل ما تطلب منى ورفعت عن مس مارتيلون السحر فإن فى هذا دليلا على أنني أمارس السحر ، وأنني إذا كنت قد مارسته ضد اليزا مارتيلون فقد مارسته ضد شيلا رامى أيضاً ، وبهذا أكون قد اعترفت بأننى ارتكبت جريمة قتل يا مستر لانسنج .

– قلت لك إننا سننسى كل شئ عن شيلا رامى ..

– حتى إذا أنا اعترفت عملياً بأنني قتلتها ؟..

فقد صبرى ودسست يدى فى جيبى وأخرجتها بمسدس شهرته فى وجهه وقلت :

– أفهمني جيداً .. إذا كانت هناك جريمة قتل فهى تلك التى سأرتكبها الآن عن طيب خاطر ..

ولكننى لم أخفه كما كنت أرجو ، والحق أنه هو الذى أخافنى فقد قال :

– توخ الحذر يا مستر لانسنج .. إنني أمسك بالفتاة التى تحبها فى راحة يدى وإذا حدث لى شئ فإنني سأتخلى عنها ، وإذا قتلتنى فإنها ستموت حتما .

تراشقنا النظرات لحظة طويلة .. كان ترينكولو قد بقى هادئاً وبارداً بخلافى أنا .. وكان بمقدورى أن أقتله فى هذه اللحظة كما لو كان حشرة حقيرة أو ذبابة ، وقد أدرك ذلك وأدركته أنا الآخر ولكننى قبلت الأمر فإن مصير اليزا كان فى يده حقاً ..

– إننا فى موقف لا مخرج منه يا مستر لانسنج .. قلت على الرغم منى :

– يبدو ذلك .

– الديك اقتراح .. لا شئ فيما عدا الاتفاق الذى عرضته عليك ..

– إن هذا الاتفاق لا يرضينى يا مستر لانسنج .. لنفرض إنني رفعت السحر الذى ألقيته على مس مارتيلون كما تقول .. ستكونان طليقين وسيكون فى مقدوركما عندئذ أن تنقلبا ضدى ، ولن يكون لدى غير وعدك بأنك لن تفعل شيئاً وأنا رجل كهل يا مستر لانسنج وتعلمت أن لا أثق بأحد .

قلت :

– أخشى إذن أن نبقى هنا حتى يوم الحشر .

وأخذت مقعداً وجلست أمامه مصوباً مسدسى إلى صدره فقال

– إنني شديد الإ عجاب بك يا مستر لانسنج فإنك وفتاتك تتمتعان بصفة عجيبة هى الإصرار .. وكل منكما شجاع وذكى وقد خمنتما سرى تقريباً كما خمنتما ما حدث لشيلا رامى ..

– ماذا حدث لها بالدقة إذن ؟.

– سأذكر لك ذلك يا مستر لانسنج ولعلنا إذا فهمت ، نستطيع أن نجد مخرجاً أو حلا لمشكلتنا .

تركته يتكلم ولم أقاطعه واستطرد يقول :

– لن أكشف لك جوهر سرى وسأكتفى بأن أقول ماذا فعلت دون التعرض لكيف فعلت .. إن لدى مواهب فى السحر اكتسبتها شيئاً فشيئاً من البلاد التي تنقلت فيها ، والذى أعرفه بعيد عن فودو هذه الجزائر وهاموية أوروبا واستحضار الأرواح التى تمارسها بعض البلدان .. أنه تركيب يضم خلاصة كل ما فى هذه التجارب .. ولم أتعرض لكل هذا لمجرد المعرفة يا مستر لانسنج وإنما لغاية واحدة ..

وصدقته لأنني لمست فى صوته رنة صدق وإخلاصا كبيرين ..

– إننى سليل أسرة كبيرة من الممثلين يا مستر لانسنج كان أفرادها طوال القامة ذوى وسامة وجمال ، إلى أن أتيت أنا ، وأنت ترى حالتى لست قزماً ولا مسخاً تماماً ، ومع ذلك فأنا دميم الخلقة ومشوه لا أصلح للظهور أمام جمهور النظارة .. ولهذا السبب اشتغلت بعرض الدمى والعرائس وهذا حل جميل لأن عرض الدمى فن كبير ولكن للأسف .

وتحطم صوته وبقي لحظة صامتاً ولعله تذكر ذكريات حزينة لأ عينيه اغرورقتا بالدموع .. وقال أخيراً :

– للأسف لم أكن فناناً عظيماً لم أكن في مستوى مهمتي فقد افتقرت إلى البراعة والإبداع الخلاق .. أن الممثل يقوم بالدور الذي يملى عليه .. أما عارض الدمى فيجب أن يقوم بكل الأدوار .. يجب أن يكون هو كل الممثلين في نفس الوقت ، ولم تكن لي القدرة على ذلك .. وتملكني اليأس وتمنيت أن أبيع روحي الشيطان في سبيل الحصول على هذه المقدرة ..

وطرفت عيناه لكي يبعد دموعه وبدا انها جفت على الفور وعادت النظرة الخبيثة إلى عينيه واستطرد :

– هل تفهم الآن يا مستر لانسنج ؟.. لكي أصبح عارض دمى ناجحاً كان لابد من الحصول على شخصيات عديدة ، وأين أستطيع الحصول عليها إلا من أناس آخرين ! أرأيت كيف أن ممارسة الفن المسرحي حملني منطقياً إلى ممارسة السحر الأسود ؟.. تعلمت وجربت كل أسراره .. التنويم المغنطيسي في بادئ الأمر فبواسطته أستطيع إستعارة أية شخصية مؤقتاً .. ولكن الإستعارة لم تكن كافية .. كان لابد لي من الإستيلاء التام .. كان على أن أسرق " شخصياتي "، صدقني أنني حاولت في البداية أن أسرقها برفق وبدون عنف ، ولكن لم يكن ذلك بالأمر المستطاع .. كان لابد لي من القتل ، وكان يتعين على انتزاع الروح من الجسد قبل أن يموت تماماً .. هل تعترض يا مستر لانسنج على إستخدامي كلمة " روح " ، ولكنها التعبير الوحيد الذي مكنني إستخدامه مع ذلك .. وقد سرقت سبعة أرواح .. وهي تقيم الآن منفصلة عن أجسادها ، في الجماجم

السبعة ، وكل ما على هو أن أشعل هذه الشموع لكى تعود هذه الأرواح إلى الحياة بأشخاصها الأصلية وتقدم ألعابها وتتكلم من خلال شفتى فإن الخيوط التى أحركها تهبط إلى أعماق مملكة الموت ..

صدقته ، فقد كانت اليزا فى مستشفى سانتو كريستوفرو ، ولهذا كان لابد لى من أن أصدقه .. وسألته :

- وهذا هو نفس ما تحاوله الآن مع اليزا ؟. تريد أن تقتل جسدها وتسلبها روحها .

هز كتفيه وقال :

- فى الليلة الماضية وأنا مستلق فى فراشى ومس مارتيلون تتقلب فى فراشها فى فندق الكازا دى ، درست روحها جيداً وأنا لا أريدها الان إن صديقتك جميلة يا مستر لانسنج ولكنها ليست بذات أهمية بالنسبة لى ولا أهتم بها الآن إلا حفاظا على حياتي ..

كان يمكنني مناقشته فى هذه النقطة ولكننى لم أشأ المجازفة بتحريك شهيته لها واستطرد هو يقول :

- وأصل الآن إلي التسوية التى يمكن أن نعقدها معاً فقد إستقر رأيى أخيراً علي أن روحك هى التي أريدها ..

صحت في ذهول :

- روحى أنا ؟.

- أنت رجل فريد يا مستر لانسنج .. ذو روح منطلقة ، ثم إنك شاب قوى ووسيم وموهوب ، واسع الحيلة والخيال .. ومع ذلك فإنك آثرت أن تترك

حضارتكم وأن تعيش فى هذه الجزيرة هذه المعيشة البسيطة .. سيكون لك دور رئيسى فى مسرحى .

تملكنى الخوف والذهول معاً ولكنني أجبته بعنف :

– تريد أن تستبدل روحى بروحها إذن ؟.

– نعم .

– كيف أتأكد أنك لن تحاول أن تأخذ روحينا فى نفس الوقت ؟.

أبتسم ترينكولو وبسط ذراعيه إلى الأمام وقال :

– لأن هذا محال ، فلو أنه كان فى استطاعتي أن آخذ روحيكما معاً لفعلت بالأمس .. تذكر أنك شربت ، أنت أيضاً ، من ذلك الشاى الممزوج بالروم ولم يصبك شئ لا أستطيع الاستيلاء إلا على روح واحدة كل مرة وهذا العمل وحده يقتضى منى أياماً كثيرة وأحياناً أكثر من أسبوع ، إذا كانت الروح قوية ومقاومة ، وأعتقد أن روحك من هذا النوع .. يجب أن أركز كل اهتمامى على الروح التى أريدها وأن استخرجها من جسدها قبل أن يسبقنى الموت إليها .. وروحى أنا لا يمكن إلا أن تكون فى مكان واحد آخر فى لحظة معينة .. إنها معركة أخرج منها دائماً ظافرا يا مستر لانسنج لأن روحى هى الأقوى .. هل تفهم ؟..

فكرت لحظة فى صمت وقال ترينكولو :

– حسناً يا مستر لانسنج إن مسدسك يمكن أن يمنعنى عن إستخراج روح مس مارتيلون ، ولكن أذا أنا مت فإنها تموت هى الأخرى كما قلت لك .

لم تكن صفقة طيبة طبعاً ولكن لم تكن لى حيلة ولم يسعنى إلا أن أقول :

– اتفقنا ..

ابتسم ترينكولو ابتسامة عريضة وقال :

– هل تريد أن نناقش التفاصيل ونحن نتناول كأساً من الروم ..

رافقت اليزا إلى المطار بعد ذلك بيومين .ورأيت طائرتها تنطلق فى رفق وتحلق فى الجو وتغدو نقطة صغيرة قبل أن تختفى نهائياً نحو الشمال ..

وجدت عنوان اليزا فى دليل تليفون مدينة مهاتن فأخذت سيارة أجرة إليه ..كانت تقيم فى مسكن بسيط مما يدل على أنها تمر بضائقة مالية وأنها لم تنجح فى عملها بعد .وقد كنت من الأنانية بحيث اغتبطت لذلك .وصعد بى المصعد إلى حيث مسكنها وطرقت الباب ..

وجاءني صوتها من خلف الباب وهي تسأل فى ضعف من الطارق ؟ وأثارنى صوتها ، فلم أكن قد سمعته منذ وقت طويل .ولمست رنة الإنفعال فيه كانت خائفة ، مسكينة اليزا ! لم تنس جزيرة الفودو بعد .

وأجابتها أقول :

– أنا بيت لانسنج ..

وسمعت خطواتها وهى تسرع نحو الباب ووثب قلبى بين ضلوعى من الفرح ـ كانت تخاف أن تفتح الباب لأى أحد ولكنها ستفتحه لى أنا ..

وصاحت :

– إننى قادمة يابيت ..

وانفتح الباب ولكن بمقدار سنتيمترات قليلة لأنها كانت قد وضعت سلسلة

الأمان ونسيت أن ترفعها فى لهفتها .. وتبادلنا النظر لحظة خاطفة من خلال الفتحة الضيقة التى سمحت بها السلسلة ورأيت ابتسامتها تختفى والشحوب يعلو وجهها وقالت لاهثة :

- ترينكولو !..

وصفقت الباب قبل أن أتمكن من إيقافها وسمعتها تضع المزلاج ..

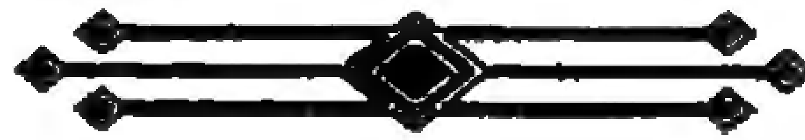
وصحت :

- كلا .. إنك لا تفهمين يا حبيبتى اليزا .. صحيح أنه جسد ترينكولو ولكن الواقع أنه أنا .. بيت لانسنج .. أنه قتل جسدى وحاول أن يسلبنى روحى ولكننى كنت أقوى منه فسلبته روحه .

ولكن كيف يمكن أن أشرح مثل هذا الأمر خلال باب مغلق لإمرأه مذعورة لا تريد ولا تستطيع أن تسمع .

وهبطت السلم وأنا أسى محزون وخرجت إلى الشارع وأخذت أمشى مدة طويلة وأنا غارق فى الأفكار .. كنت أحبّ اليزا وكنت أريدها ، ولم أكن لأستطيع أن أعيش بدونها ولكن كيف أستطيع الوصول إليها بجسد ترينكولو .

هناك طريقة بالطبع .. طريقة ترينكولو !..



(تمت)

سلسلة روائع القصص البوليسية هتشوكك